ستالين

البُلشفية والثورة الصينية



الطبعة الرقمية الأولى، آذار–أيّار 2012، في 6 أجزاء مفردة.
الطبعة الرقمية الثانية، آذار 2013، في كراس واحد.
نبع – النشر البلشفي باللسان العربي، القيروان، حزيران 2019



ستالين

البُلشفية والثورة الصينية

ترجمة

محمد علي العربي

القيروان، حزيران 2019

نبع النشر البلشفي العربي

المحتويات

آفاق الثورة في الصين

خطاب في اللّجنة الصّينيّة في تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة 30 تشرين الثّاني 1926

أيّها الرّفاق،

قبل أن أمرّ إلى موضوع النّقاش، أعتقد أنّ من الضروري أن أعلن أنّي لا أمتلك عن القضيّة الصّينيّة المادّة الضّافية الضّروريّة لتقديم لوحة عامّة للثّورة الصّينيّة. لذا، أجد نفسي مضطرّا إلى أن أقتصر على تقديم ملاحظات عامّة ذات طابع أساسيّ ولها صلة مباشرة باتّجاه الثّورة الصّينيّة العامّ.

بين يداي أطروحات بتروف وأطروحات ميف وتقريرَا تانغ بينغ-شان وملاحظات رافس في القضيّة الصّينيّة. أعتقد أن كلّ هذه الوثائق، رغم فضائلها، تشكو من نقص فادح وهو لا مبالاتها بعدد من القضايا الجذريّة في الثّورة الصّينيّة. أعتقد أنّ من الضّروري، قبل كلّ شيء،

أن ألفت الانتباه إلى هذه النّقائص. لذا، ستكون ملاحظاتي ذات طابع نقدي في ذات الوقت.

1. طابع الثورة في الصين

لقد قال لينين أنه سيكون للصّينيّين قريبا عام 1905 الخاصّ بهم. لقد فهم بعض الرّفاق من ذلك أنه سيكون عند الصّينيّين تكرار مطابق لما حصل عندنا هنا في روسيا عام 1905. أيّها الرّفاق، إنّ ذلك خطأ. فلم يقل لينين أبدا أنّ الثّورة الصّينيّة ستكون نسخة مطابقة لثورة 1905 في روسيا. وكلّ ما قاله هو أنّ للصّينيّين عام 1905 الخاصّ بهم. وهذا يعني أنّ الثّورة الصّينيّة ستكون لها، بالإضافة إلى الخصائص العامّة في ثورة 1905 في روسيا، سماتها الخاصّة التّي ستضع بصمتها الخاصّة على الثّورة الصّينيّة.

ما هي تلك الخصوصيّات؟

الخاصيّة الأولى هي أنّه بينما الثّورة الصّينيّة هي ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة فإنّها، في ذات الوقت، ثورة تحرّر قومي تتّجه ضدّ الهيمنة الإمبرياليّة الأجنبيّة في الصّين. وفي هذا، على الأخصّ، تختلف عن ثورة 1905 في روسيا. فالنّقطة المهمّة هي أنّ قاعدة الإمبرياليّة في الصّين تظهر لا في قوّتها العسكريّة فحسب، بل، وعلى نحو أخصّ، في واقع أنّ الخيوط الأساسيّة للصّناعة في الصّين وسكك الحديد والمطاحن والمصانع والمناجم والبنوك، وغيرها، هي ملك الإمبرياليّين الأجانب أو تحت سيطرتهم. مما ينتج عنه أنّ قضايا النّضال ضدّ الإمبرياليّة الأجنبيّة وأعوانها الصّينيّين لا يمكنها إلّا أن تلعب دورا هامّا في الثّورة الصّينيّة. وهذا الواقع يُلحق، مباشرة، الثّورة الصّينيّة بثورات عمال كلّ البلدان ضدّ الإمبرياليّة.

الخاصيّة الثّانية في الثّورة الصّينيّة هي أنّ البرجوازيّة القوميّة الكبيرة في الصّين ضعيفة إلى أقصى حدّ، وأضعف بكثير جدّا مما كانت عليه البرجوازيّة الرّوسيّة عام 1905. وهذا أمر مفهوم. ولما كانت الخيوط الأساسيّة للصّناعة متجمّعة بين أيدي الإمبرياليّين الأجانب، لم يكن للبرجوازيّة القوميّة الكبيرة إلّا أن تكون ضعيفة وفي المؤخّرة. وفي هذا الصّدد فإنّ ملاحظة ميف على صواب في موضوع ضعف البرجوازيّة القوميّة في الصّين كأحد الوقائع

الخصوصيّة في الثّورة الصّينيّة. لكن، ينتج عن ذلك أنّ دور المبادر والمرشد في الثّورة الصّينيّة، ودور القائد للفلاحين الصّينيّين يجب، حتما، أن يُلقى على كاهل الطبقة العماليّة الصّينيّة وحزبها.

وهناك خاصيّة ثالثة في الثّورة الصّينيّة لا يجب التقليل من أهميّتها وهي أنّ الثّورة الصّينيّة ملاصقة للاتّحاد السّوفييتي الذّي بوجوده وتطوّره وبتجربته الثّوريّة وعونه لا يمكنه إلّا أن يسهّل نضال الطبقة العماليّة الصّينيّة ضدّ الإمبرياليّة وضدّ بقايا الإقطاع والقرون الوسطى في الصّين.

تلك هي السّمات الخصوصيّة الأساسيّة في الثّورة الصّينيّة والتّي تحدّد طابعها واتّجاهها.

2. الإمبريالية والتدخل الإمبريالي في الصين

أول عيوب تلك الأطروحات هو عدم اهتمامها أو انتقاصها من أهميّة قضيّة التّدخّل الإمبريالي في الصّين. فإنّ دراسة لتلك الأطروحات يمكنها أن تقودنا إلى الاعتقاد أنّ ليس هنالك، في الوقت الحاضر، أيّ تدخّل إمبرياليّ في الصّين، وأنّ هنالك فقط صراع بين الشّماليّين والجنوبيّين، أو بين مجموعات من الجنرالات. وأكثر من ذلك، ففيها توجّه يوحي بأنّ معنى التّدخّل هو اعتداء الجيوش الأجنبيّة على الأرض الصّينيّة، فإن لم تكن الحالة تلك فليس هنالك تدخّل.

أيّها الرّفاق، ذلك خطأ كبير. إنّ التدخّل أبعدُ من أن ينحصر في اعتداءات الجيوش. ولا تمثّل اعتداءات الجيوش أبدا الخاصيّة الأساسيّة في التّدخّل. ففي الظّروف الرّاهنة للحركة الثّوريّة في البلدان الرّأسماليّة، حيث الاعتداء العسكري الأجنبي المباشر يمكن أن يثير احتجاجات ونزاعات، يفترض التّدخّل أكثر مرونة وأشكالا أكثر تخفّيا. وفي الظروف الجارية اليوم تفضّل الإمبرياليّة التّدخّل في بلد تابع بتنظيم الحرب الأهليّة فيه من خلال تمويل القوى

الرّجعيّة ضدّ الثّورة، وبتقديم عون معنوي ومالي لأعوانها الصّينيّين ضدّ الثّورة.

لقد اضطرّ الإمبرياليون إلى تصوير صراع دينيكين وكولتشاك وورنغل ويودنيتش ضدّ الثّورة في روسيا كصراع داخلي محض. لكنّنا نعلم جميعا، وليس فقط نحن بل العالم أجمع، أنّ إمبرياليي إنجلترا وأمريكا وفرنسا واليابان كانوا يقفون وراء أولئك الجنرالات الرّجعيّين الرّوس الذّين لو لا سندهم لكانت حرب أهليّة خطيرة أمرا مستحيلا. ويجب أن يقال عن الصّين نفس الشّيء. فصراع وُو بييف-فو وسان شانغ-فانغ وشانغ تسونغ تسولين-شانغ ضدّ الثّورة في الصّين كان مستحيلا بكلّ بساطة لو لا أنّ أولئك الجنرالات تلقّوا العون من إمبرياليي جميع البلدان، ولو لا أنّ هؤلاء الأخيرين قدّموا لأعوانهم الأسلحة والفنيّين و«المستشارين»، الخ.

فيما تكمن قوّة جيش كانتون؟

في واقع أنّه يدفعه مثل أعلى، تدفعه النّخوة، خلال النّضال من أجل التّحرّر من الإمبرياليّة؛ في واقع أنّه يحقّق تحرّر الصّين.

فيما تكمن قوّة الجنرالات المعادية للثورة في الصّين؟ في واقع أنّهم مستندون إلى إمبرياليي كلّ البلدان، وإلى مالكي كلّ سكك الحديد والامتيازات والمطاحن والمصانع والبنوك والمراكز التّجاريّة في الصّين.

وبالتّالي لا يتعلّق الأمر باعتداء الجيوش الأجنبيّة فقط ولا يمكن أن ينحصر الأمر في ذلك أبدا، كأن يقدّم إمبرياليو كلّ البلدان العون لأعداء الثّورة في الصّين. إنّ الاعتداء على أيدي الآخرين هو أصل الاعتداء الامبريالي الحالي في الصّين.

لذا، فإنّ من لا يبالي بواقع التّدخّل الإمبريالي في الصّين أو ينتقص من أهميّته فإنّما هو لا يبالي بالأمر الرّئيسي والأكثر أساسيّة في الصّين أو ينتقص من أهميّته.

لقد قيل أنّ الإمبرياليّين اليابانيّين يظهرون بعض ملامح «النّية الطيّبة» نحو أهالي كانتون والثّورة الصّينيّة بوجه عامّ. وقيل أنّ الإمبرياليّين الأمريكيين ليسوا على ما عليه اليابانيّون في هذا الأمر. أيّها الرّفاق، إنّ ذلك كمن يخدع نفسه.

يجب أن نعرف كيف نميّز جوهر السّياسة الإمبرياليّة، بما في ذلك الإمبرياليّتين الأمريكية واليابانيّة، عن أقنعتها. فكثيرا ما قال لينين أنّ من الصّعب أن يُأخَذ الثّوريّون بالقوّة، لكن من السّهل جدّا، أحيانا، أن يُأخَذوا باللّين. أيّها الرّفاق، لا يجب أبدا أن ننسى هذه الحقيقة التّي

قدّمها لينين. وعلى كلّ حال، من الواضح أنّ الإمبرياليّين اليابانيّين والأمريكيّين قد برهنوا على قيمتها. لذا، من الضّروري أن نميّز، تمييزا قويما، إطراء الإمبرياليّين أهالي كانتون عن واقع أنّ الإمبرياليّين الذّين يظهرون كرماء بإطرائهم هم أنفسهم الذّين يتشبّثون بقوّة بقروضـ«هم» وسكك الحديد في الصّين، وليس عندهم نيّة التّخلّي عنها مهما كان الثّمن.

3. الجيش الثوري في الصين

تتعلّق ملاحظتي الثّانية في الأطروحات المقدّمة بقضيّة الجيش الثّوري الصّيني. الحقّ أنّ قضيّة الجيش غائبة أو منتقص من أهميّتها في الأطروحات، (صوت يهتف: «هذا صحيح»)، وفي ذلك نقيصتها الثّانية. وغالبا ما أعتُبر التّقدّم نحو شمال كانتون، لا على أنّه اتّساع الثّورة، وإنّما على أنّه نزاع بين الجنرالات ووُو باي-فو وسان شوان-فانغ من جهة وقادة كانتون من جهة ثانية هدفه إزاحة جنرالات ليحلّ محلّهم آخرون. أيّها الرّفاق، ذلك خطأ كبير. فالجيوش الثّوريّة في الصّين هي عامل أكثر أهميّة في نضال العمال والفلاحين الصّينيّين في سبيل التّحرّر.

هل كان من المصادفة أنّه إلى حدود أيّار أو حزيران من هذا العام كان يقدّر الوضع الصّيني على أنّه قاعدة الرّجعيّة إثر هزيمة جيوش فان يوهسيانغ، بينما فيما بعد، في صيف هذا العام، لم يكن لجيش كانتون المظفّر إلّا أن يتقدّم إلى الشّمال ويحتلّ هوباي فتتغيّر كامل اللّوحة، جذريّا، لصالح الثّورة؟

لا. لم يكن ذلك صدفة. إنّ تقدّم كانتون يعني ضربة للإمبرياليّة، ضربة لأعوانها في الصّين، إنّه يعني حريّة الاجتماع، وحريّة الإضراب، وحريّة الصّحافة، وحريّة تنظّم العناصر الشّيوعيّة في كامل الصّين، بوجه عامّ والعمال بوجه خاصّ. وهذا ما يمثّل الميزة والأهميّة القصوى للجيش الثّوري في الصّين.

فيما مضى، في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر، تندلع الثّورات، عموما، بانتفاضة الشّعب، في أغلب الأحيان غير مسلّحة أو ضعيفة التّسلّح، وتدخل في صدام مع جيش النّظام القديم

وتحاول الحطّ من معنويّاته أو كسب جزء منه إلى جانبه. ذلك هو الشّكل النّموذجي الذّي كانت عليه المعاقل الثّوريّة فيما مضى. وذلك ما حدث هنا في روسيا عام 1905. لقد اتّخذت الأمور مجرى مختلفا في الصّين؛ فقد تصادم جيش الحكومة القديمة لا مع شعب أعزل، بل مع شعب مسلّح في هيئة جيشه الثّوري. تحارب الثّورة المسلّحة في الصّين جيش الثّورة المضادّة. وذلك إحدى الخصائص المميّزة للثّورة الصّينيّة وأحد فضائلها. وهنا تكمن الأهميّة الخاصّة للجيش الثّوري في الصّين.

لذا، فإنّ الانتقاص من أهميّة الجيش الثّوري هو من النقائص غير المقبولة في الأطروحات. لكن ما ينتج عن ذلك هو أنّ على الشّيوعيّين في الصّين أن يولوا العمل في الجيش أهميّة خاصّة.

في المقام الأوّل، يجب على الشّيوعيّين أن يقوّوا عملهم السّياسي في الجيش من جميع النّواحي، وأن يضمنوا أن يصبح الجيش قناة ونموذجا لأفكار الثّورة الصّينيّة. وذلك ضروريّ على نحو خاصّ لأنّ مختلف ضروب الجنرالات، الذّي ليس بينهم والكيومنتانغ من أمر مشترك، يحاولون الالتحاق بحكومة كانتون، من جهة أنّها قوّة يتسلّل إليها أعداء الشّعب الصّيني، وإذ يلتحقون بها فإنّهم يحلّون تفسّخ الجيش. والطريقة الوحيدة لتحييد أولئك «الحلفاء» أو أن نجعل منهم أعضاء في الكيومنتانغ حقيقيّين هي أن نقوّي العمل السّياسي وأن نقيم رقابة ثوريّة عليهم. فلن يكون الجيش إلّا في وضع صعب جدّا إذا لم ينجز ذلك.

في المقام الثّاني، يجب على الثّوريّين الصّينيّين بما فيهم الشّيوعيّين أن ينخرطوا في دراسة عميقة لفنّ الحرب. فلا يجب عليهم أن يعتبروها أمرا ثانويّا، لأنّه عامل رئيسي في الثّورة الصّينيّة. يجب على الثّوريّين الصّينيّين وبالتّالي على الشّيوعيّين أيضا أن يدرسوا فنّ الحرب حتّى يصلوا تدريجيّا إلى الصّدارة ويكتسبوا مختلف مراكز القيادة في الجيش الثّوري. إنّ ذلك هو ضمانة أن يسير الجيش الثّوري الصّيني في الطريق القويم، صوب هدفه مباشرة. فلن تكون هناك إلّا تأرجحات وتردّدات في الجيش إذا لم ينجز ذلك.

4. طابع الحكومة المقبلة في الصين

تتعلّق ملاحظتي الثّالثة بواقع أنّ الأطروحات لا تقول شيئا، أو لا تقول بما فيه الكفاية، عن طابع الحكومة المقبلة الثّوري في الصّين. يقترب ميف من الموضوع في أطروحاته على حسابه. ولما اقترب منه أصبح خائفا لسبب معيّن ولم يتجرّأ على الانتهاء بالقضيّة إلى نتائجها. يرى ميف أنّ الحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين ستكون حكومة البرجوازيّة الصّغيرة الثّوريّة تحت قيادة الطبقة العماليّة. فماذا يعني ذلك؟ في زمن ثورة شباط عام 1917، كان المناشفة والاشتراكيون الثّوريّون كذلك أحزابا برجوازيّة وبرجوازيّة صغيرة ثوريّة بقدر معيّن. فهل يعني ذلك أنّ الحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين ستكون اشتراكيّة-ثوريّة-منشفيّة؟ لا. لن تكون كذلك. لماذا؟ لأنّ حكومة الاشتراكيون الثّوريّون والمناشفة هي في الواقع حكومة إمبرياليّة، في حين لا يمكن للحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين أن تكون إلّا حكومة معادية للإمبرياليّة. والاختلاف هنا رئيسي. لقد كانت حكومة ماك دونالد «عماليّة»، لكنّها رغم ذلك حكومة إمبرياليّة لأنّها ترتكز على الحفاظ على الهيمنة الإمبرياليّة البريطانيّة في الهند ومصر مثلا. وإذا ما قارنّا حكومة ماك دونالد بالحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين وجدنا أنّ لهذه الأخيرة الفضل في أنّها حكومة معادية للإمبرياليّة. فلا يكمن الأمر في طابع حكومة كانتون الدّيمقراطي البرجوازي التّي هي جنين الحكومة الثّوريّة المقبلة لكامل الصّين، فحسب، بل أيضا، وقبل كلّ شيء، في ألا يمكنها أن تكون إلّا حكومة معادية للإمبرياليّة، وأنّ كلّ تقدّم تحرزه هو بمثابة ضربة قويّة لعالم الإمبرياليّة، وبالتّالي، ضربة لصالح الحركة الثّوريّة العالميّة.

لقد كان لينين على حقّ عندما قال أنّه فيما مضى، قبل حلول عصر الثّورة العالميّة، كانت حركة التّحرّر الوطني جزءا من الحركة الدّيمقراطيّة العامّة. والآن، بعد انتصار الثّورة السّوفييتيّة في روسيا، وحلول عصر الثّورة العالميّة، أصبحت حركة التّحرّر الوطني جزءا من الثّورة العماليّة العالميّة.

لم يأخذ ميف هذه الخاصيّة المميّزة بعين الاعتبار. أعتقد أنّ طابع الحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين سيكون، عموما، مشابها لما كنّا تحدّثنا عنه في بلدنا عام 1905، إنّها حكومة

بمثابة دكتاتوريّة العمال والفلاحين الدّيمقراطيّة، مع اختلاف يقوم في أنّها ستكون، قبل كلّ شيء، حكومة معادية للإمبرياليّة.

ستكون حكومة انتقال إلى تطوّر غير رأسمالي، أو بتعبير أصحّ، إلى تطوّر اشتراكي في الصّين. ذلك هو الاتّجاه الذّي يجب أن تسير فيه الثّورة في الصّين. إنّ هذا المجرى في تطوّر الثّورة تسهّله ثلاثة عوامل: أوّلا. لمّا كانت الثّورة الصّينيّة ثورة تحرّر وطني فإنّها ستسير ضدّ الإمبرياليّة وأعوانها في الصّين؛ ثانيا. لمّا كانت البرجوازيّة الوطنيّة الكبيرة الصّينيّة ضعيفة، وأضعف ممّا كانت عليه البرجوازيّة الوطنيّة الرّوسيّة في فترة 1905، فإنّ ذلك يسهّل هيمنة الطبقة العماليّة وقيادة الحزب للفلاحين؛ ثالثا. أنّ الثّورة في الصّين ستتطوّر في ظروف تمكّنها من استغلال تجربة وعون الثّورة المظفّرة في الاتّحاد السّوفييتي. إنّ بلوغ هذا المجرى النّجاح التّام والمؤكّد ستحدّده عوامل عديدة.

لكنّ الأمر الواضح هو أنّ النّضال في سبيل هذا الطريق للثّورة الصّينيّة، على وجه التّحديد، هو مهمّة الشّيوعيّين الصّينيّين الأساسيّة.

ومن هنا تبرز مهمّة الشّيوعيّين الصّينيّين فيما يتعلّق بموقفهم من الكيومينتانغ والحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين. لقد قيل أنّ على الشّيوعيّين الصّينيّين أن ينسحبوا من الكيومنتانغ. أيّها الرّفاق سيكون ذلك خطأ. سيكون انسحاب الشّيوعيّين الصّينيّين من الكيومنتانغ في الوقت الرّاهن خطأ كبيرا. فكامل مجرى الثّورة الصّينيّة وطابعها وآفاقها، تدعّم، دون شكّ، بقاء الشّيوعيّين الصّينيّين في الكيومنتانغ وتقوية عملهم فيه.

لكن هل يمكن للحزب الشّيوعي الصّيني أن يشارك في الحكومة الثّوريّة المقبلة؟ لا فقط يستطيع ذلك فحسب، بل يجب عليه ذلك. فمجرى الثّورة الصّينيّة وطابعها وآفاقها تدعّم مشاركة الحزب الشّيوعي الصّيني في الحكومة الثّوريّة المقبلة في الصّين. إنّ في ذلك تكمن إحدى الضّمانات الجوهريّة لخلق فعلي لهيمنة الطبقة العماليّة الصّينيّة.

5. القضية الفلاحية في الصين

تتعلّق ملاحظتي الرّابعة بالقضيّة الفلاحيّة في الصّين. يعتقد ميف أنّ من الواجب الشّروع مباشرة في تطبيق شعار تأليف السّوفييتات ومن ذلك سوفييتات الفلاحين في الرّيف الصّيني. أرى أنّ ميف يسير كثيرا جدّا إلى الأمام.

لا يمكننا أن نألّف سوفييتات في الرّيف متجنّبين ذلك في المراكز الصّناعيّة في الصّين. لكنّ تأليف سوفييتات في المراكز الصّناعيّة في الصّين ليس شعار مباشرا في الوقت الحاضر. ويجب ألا يغيب عن الذّهن أنّه لا يمكن تقدير السّوفييتات خارج الوضع الذّي يحيطها. فلا يمكن تنظيم السّوفييتات، والحالة هنا سوفييتات الفلاحين، فإذا لم تكن الصّين في مرحلة أوج حركة فلاحيّة تحطّم نظام الأمور القديم وتبني سلطة جديدة، آخذين في الحسبان أنّ المراكز الصّناعيّة في الصّين كانت قد فجّرت الحاجز ودخلت مرحلة تركيز سلطة السّوفييتات.

هل يمكننا القول أنّ الفلاحين الصّينيّين والثّورة الصّينيّة عموما قد دخلوا، بعدُ، هذه المرحلة؟ كلّا، لا يمكننا ذلك. فالحديث عن السّوفييتات الآن إنّما هو جري إلى بعيد جدّا، في حين أنّ القضيّة التّي يجب طرحها اليوم ليست السّوفييتات بل تأليف لجان الفلاحين.

إنّ الصّورة التّي أراها هي لجان فلاحيّة ينتخبها الفلاحون، قادرة على صياغة مطالب الفلاحين الأساسيّة، وتتّخذ كلّ الإجراءات لضمان تحقيق تلك المطالب بطريقة ثوريّة. ويجب أن تكون هذه اللّجان بمثابة محور تطوّر الثّورة في الرّيف.

أعلم أنّ هنالك أعضاء من الكيومينتانغ وحتّى شيوعيّين لا يرون أن من الممكن اندلاع الثّورة في الأرياف لأنّهم يخشون أنّه إذا ما انخرط الفلاحون في الثّورة فإنّهم سوف يجعلون وحدة الجبهة المعادية للإمبرياليّة تضطرب. أيّها الرّفاق، هذا خطأ كبير. فكلّما كان انخراط الفلاحين الصّينيّين في الثّورة أسرع وأوسع، كانت الجبهة المعادية للإمبرياليّة في الصّين أصلب وأقوى. إنّ مؤلّفي الأطروحات، وخاصّة تانغ بينغ-شان، على صواب تامّ عندما ساندوا فكرة أنّ تلبية فوريّة لعدد معيّن من المطالب الأكثر إلحاحا عند الفلاحين هي شرط جوهري لانتصار

الثّورة في الصّين. وأعتقد أنّ الوقت قد حان لكسر هذا الجمود و«الحياد» نحو الفلاحين الذّي نلاحظه عند في عمل بعض عناصر الكيومينتانغ. أعتقد أنّه يجب على كلّ من الحزب الشّيوعي الصّيني والكيومينتانغ، وبالتّالي حكومة كانتون، الانتقال من الأقوال إلى الأفعال دون تأخّر، وأن يطرحا قضيّة تلبية مطالب الفلاحين الأكثر حيويّة.
ما يمكن أن يكون لذلك من آفاق ومدى فذلك سيحدّده مجرى الثّورة. وأعتقد أنّه يجب المضي في القضايا بعيدة المدى إلى أبعد من تأميم الأرض. وفي جميع الأحوال، لا يجب أن نتخلّى عن شعار مثل شعار تأميم الأرض.
ما هي الطرق والوسائل التّي يجب على الثّوريّين الصّينيّين أن يتّخذوها لإنهاض جماهير الفلاحين الصّينيّين الواسعة للثّورة.
أعتقد أنّه يمكننا أن نتحدّث عن ثلاث طرق في الظّروف المعيّنة.
الطريقة الأولى هي تأليف اللّجان الفلاحيّة ومن داخلها يقوم الثّوريّون الصّينيّون بالتّأثير في الفلاحين. (صوت يهتف: «ماذا عن الجمعيّات الفلاحيّة؟»). أعتقد أنّ الجمعيّات الفلاحيّة ستتجمّع حول اللّجان الفلاحيّة أو تتحوّل إلى لجان فلاحيّة تتمتّع بكلّ التّدابير الحكوميّة الضّروريّة لتحقيق المطالب الفلاحيّة. لقد تحدّثت عن هذه الطريقة. لكنها طريقة غير كافية. فمن السّذاجة أن يذهب في اعتقادنا أنّه يوجد في الصّين ما يكفي من الثّوريّين لهذه المهمّة. إنّ في الصّين قرابة 400 مليون ساكن، منهم قرابة 350 مليون صيني أكثر من تسعة أعشارهم فلاحون. فإنّ أيّ شخص يعتقد أنّ بضعة عشرات الآلاف من الثّوريّين الصّينيّين يمكنهم أن يشملوا هذا المحيط من الفلاحين إنّما هو مخطئ. وبالتّالي فإنّ وسائل إضافيّة إنّما هي ضروريّة.
الطريقة الثّانية هي التّأثير في الفلاحين من خلال الحكومة الشّعبيّة الثّوريّة الجديدة. فمما لا شكّ فيه أنّه ستتركّز في الأقاليم التّي ستحرَّر حكومة جديدة، حكومة من طراز حكومة كانتون. وممّا لا شكّ فيه أنّه يجب على تلك الحكومة وجهازها التّركيز على موضوع تلبية مطالب الفلاحين الأكثر إلحاحا إذا ما أرادت حقّا أن تتقدّم الثّورة. لذا، فإنّ مهمّة الشّيوعيّين والثّوريّين عموما هي أن ينخرطوا في جهاز الحكومة الجديدة حتّى تكون تلك الحكومة قريبة من جماهير الفلاحين ومن خلالها يساعدوا الفلاحين على ضمان تلبية مطالبهم الملحّة إمّا بانتزاع أراضي المالكين العقّاريّين أو تقليص الجباية والرّيع حسب الظّروف.

الطريقة الثّالثة هي التّأثير في الفلاحين من خلال الجيش الثّوري. لقد كنت تحدّثت عن أهميّة الجيش الثوري الكبيرة في الثّورة الصّينيّة. فالجيش الثوري هو أوّل قوّة ستدخل الأقاليم الجديدة، وسيمرّ، أوّلا، بمناطق فلاحيّة كثيفة السكّان، وبالتّالي سيمرّ بكلّ ما يكوّن نظرة الفلاح للحكومة الجديدة وما لها سمات جيّدة أو سيّئة. فالأمر يتوقّف، أساسا، على سلوك الجيش الثّوري، وموقفه من الفلاحين ومن المالكين العقّاريّين، وقدرته على مساعدة الفلاحين؛ وعلى ما سيكون عليه موقف الفلاحين من الحكومة الجديدة الكيومنتانغ، ومن الثّورة الصّينيّة عموما. فإن لم ننس أنّ هناك عددا لا بأس به من العناصر المتشكّكة التحقت بالجيش الثّوري في الصّين والتّي يمكنها أن تغيّر لون الجيش نحو الأسوأ، فسيكون معلوما كم أنّ أهميّة اللّون السّياسي للجيش الثّوري في الصّين وسياسته الفلاحيّة كبيرتان في عيون الفلاحين.
لذا، يجب على الشّيوعيّين الصّينيّين والثّوريّين الصّينيّين عموما أن يتّخذوا كلّ التّدابير ليجعلوا العناصر المعادية للفلاحين داخل الجيش في موضع حياد حتّى يحافظوا على الرّوح الثّوريّة عند الجيش، وحتّى يضمنوا أن يساعد الجيش الفلاحين وينهضهم للثّورة.
قيل لنا أنّ الجيش الثّوري مرحّب به في الصّين، لكن فيما بعد، عندما يحطّ رحاله تكون هنالك خيبة عامّة. إنّه نفس الأمر الذّي حدث عندنا هنا في الاتّحاد السّوفييتي أثناء الحرب الأهليّة. وتفسيرها هو أنّه عندما يحرّر الجيش أقاليم جديدة ويحطّ رحاله فيها، يصبح هنالك، بمعنى معيّن، آخرين يقتاتون على حساب السّكان المحلّيّين. وقد استطعنا نحن الثّوريّين السّوفييتيّين، بوجه عام، أن نرجّح كفّة تلك المساوئ ببذل الجهد بواسطة الجيش لمساعدة الفلاحين ضدّ المالكين العقّاريّين. فيجب على الثّوريّين الصّينيّين أيضا أن يعرفوا كيف يرجّحوا كفّة تلك المساوئ بوضع سياسة فلاحيّة صحيحة للجيش.

6. الطبقة العمالية وهيمنتها في الصين

تتعلّق ملاحظتي الخامسة بالطبقة العماليّة الصّينيّة. أعتقد أنّ الأطروحات لم تؤكّد، بما فيه الكفاية، على دور الطبقة العماليّة في الصّين وأهمّيتها. إنّ السّؤال الذّي يطرحه رافس أيّ جهة يجب على الشّيوعيّين الصّينيّين أنفسهم أن يتّجهوا إليها أهي يسار الكيومنتانغ أم وسطه؟ هو سؤال غريب. إذ أعتقد أنّ على الشّيوعيّين الصّينيّين أن يتّجهوا إلى الطبقة العماليّة قبل كلّ شيء، وأن يدفعوا قادة حركة التّحرّر الصّيني نحو الثّورة. فتلك هي الطريقة الصّحيحة لطرح القضيّة. أعلم أنّ هناك من بين الشّيوعيّين الصّينيّين رفاقا لا يقبلون إضرابات العمال لتحسين ظروفهم الماديّة ووضعهم القانوني، ويمنعون العمال عن القيام بالإضراب. (صوت يهتف: «حدث ذلك في كانتون وشنغهاي»). أيّها الرّفاق، ذلك خطأ كبير.

إنّ ذلك استنقاص خطير من دور الطبقة العماليّة الصّينيّة وأهميّتها. ويجب أن نعتبر ما في الأطروحات من ذلك القبيل بمثابة الأمر المدان بصرامة. وسيكون خطأ كبيرا إذا لم يستغلّ الشّيوعيّون الصّينيّون الوضع الحالي الملائم ليساعدوا العمال على تحسين أوضاعهم الماديّة والقانونيّة حتّى بالإضراب. إذن، لِمَ تصلح الثّورة إن لم تكن لذلك؟ لا يمكن للطبقة العماليّة أن تكون قوّة عظيمة إذا كان أبناؤها يعاقبهم ويعذّبهم أعوان الإمبرياليّة أثناء الإضرابات. ويجب أن يتوقّف إذلال القرون الوسطى مهما كان الثّمن حتّى يقوى شعور القوّة والكرامة عند العمال الصّينيّين وحتّى يصبحوا قادرين على قيادة الحركة الثّوريّة. وبدون هذا لا يمكن تصوّر انتصار الثّورة في الصّين. وبالتّالي يجب أن تأخذ مطالب الطبقة العماليّة الصّينيّة، الاقتصاديّة والقانونيّة، التّي تهدف إلى تحسين ظروفها تحسينا ملموسا، حيّزا خاصّا في الأطروحات. (ميف: «ذلك مذكور في الأطروحات»). نعم. ذلك مذكور في الأطروحات، لكن للأسف، هذه المطالب نالت حيّزا غير كاف.

7. قضية الشباب في الصين

تتعلّق ملاحظتي السّادسة بقضيّة الشّباب في الصّين. إنّه لمن الغريب ألا تُأخذ هذه القضيّة بعين الاعتبار في الأطروحات، رغم أنّ لها الآن أكبر أهميّة في الصّين. لقد تناول تقارير تانغ بانغ-شان* هذه القضيّة، لكنّه للأسف، لا يوليها الأهميّة الكافية. إنّ لقضيّة الشّباب اليوم في الصّين الأهميّة الأوّليّة. الشّباب الطّلابي (الطلبة الثّوريّون)، والشّباب العمالي، والشّباب الفلاحي – كلّها تكوّن قوّة يمكنها أن تتقدّم بالثّورة بخطى عملاقة إذا ما انساقت لتأثير الكيومنتانغ الإيديولوجي والسّياسي. فيجب ألا يغيب عن الذّهن أنّ ما من أحد يعاني من الاضطهاد الإمبريالي بأكثر عمق واتّساعا، وما من أحد يملك وعيا حادّا وأليما للنّضال ضدّه ممّا للشّباب الصّيني. فيجب على الحزب الشّيوعي الصّيني والثّوريّين الصّينيّين أن يأخذوا هذه النّاحية بكامل عين الاعتبار، وأن يقوّوا عملهم بين الشّباب إلى أقصى حدّ. يجب أن تكون للشّاب منزلته في الأطروحات المتعلّقة بالقضيّة الصّينيّة.

8. بعض الاستنتاجات

أريد أن أتحدّث في بعض الاستنتاجات فيما يتعلّق بالنّضال ضدّ الإمبرياليّة في الصّين، وفيما يخصّ المسألة الفلاحيّة. فممّا لا شكّ فيه أنّ الحزب الشّيوعي الصّيني لا يمكنه اليوم أن يقتصر على المطالبة بإسقاط الاتّفاقيّات الجائرة. فذلك مطلب يؤكّده اليوم واقع الثّورة المضادّة وعلى رأسها شانغ هساي-ليانغ. ومن البديهي أن يذهب الحزب الشّيوعي الصّيني إلى أبعد من ذلك.

فمن الضّروري، من جملة أمور أخرى، أن يأمّم سكك الحديد. ذلك ضروري، ويجب أن ينجز. ومن الضّروري، من جملة أمور أخرى، أن يكون في البال أفق تأميم أكبر المعامل والمصانع. وفي هذا السّياق، يتصدّر تأميم تلك المؤسّسات التّي يناصب مالكوها عداء صريحا

وعنيفا للشّعب الصّيني. كما من الضّروري أن تعطى أولويّة للقضيّة الفلاحيّة في صلة بآفاق الثّورة في الصّين. فما أعتقد أنّه من الواجب القيام به على المدى البعيد هو حجز أراضي المالكين العقّاريّين لصالح الفلاحين وتأميم الأرض. وما بقي سيكون بديهيّا.

أيّها الرّفاق، تلك هي الملاحظات التّي أردت تقديمها.

قضايا الثورة الصينية

أطروحات للدّعاية، أقرّتها اللّجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييّتي، 21 نيسان 1927

1. آفاق الثورة الصينية

العوامل الأساسيّة التّي تحدّد طابع الثّورة الصّينيّة هي:

أ. وضع الصّين كشبه مستعمَرة وهيمنة الإمبرياليّة عليها ماليا واقتصاديا؛

ب. ما تمارسه بقايا الإقطاع من اضطهاد واشتداده بما تمارسه العسكريّة والبيروقراطيّة من اضطهاد؛

ت. النّضال الثّوري العظيم الذّي تخوضه جماهير العمال والفلّاحين الواسعة ضدّ الاضطهاد الإقطاعي والبيروقراطي وضدّ الإمبرياليّة؛

ث. ضعف البرجوازيّة الوطنيّة السّياسي وتبعيّتها للإمبرياليّة وخوفها من أن تزيحها الحركة الثّوريّة؛

ج. نشاط الطبقة العماليّة الثّوري العظيم وعلوّ هيبتها بين الجماهير الشّغيلة؛

ح. وجود دكتاتوريّة الطبقة العماليّة بجوار الصّين؛

لذا، سيكون لتطوّر الأحداث في الصّين طريقان:

إمّا أنْ تسحق البرجوازيّةُ الوطنيّة الطبقةَ العماليّة وتقيم اتّفاقا مع الإمبرياليّة وتشنّ معها حملة على الثّورة لتضع لها حدّا بإرساء سلطة الرّأسماليّة؛

وإمّا أنْ تزيح الطبقةُ العماليّة البرجوازيّةَ الوطنيّة عن طريقها وتقوّي من هيمنتها وتأخذ على عاتقها قيادة الجماهير الواسعة من الشّعب الشّغيل في المدينة وفي البلاد في سبيل هزم مقاومة البرجوازيّة الوطنيّة وضمان انتصار الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة انتصارا كاملا لتحوّل هذه الثّورة، تدريجيّا، إلى ثورة اشتراكيّة بكلّ ما يترتّب عن ذلك.

إنّ أزمة العالم الرّأسمالي ووجود دكتاتوريّة الطبقة العماليّة في اتّحاد الجمهوريّات السّوفييّتيّة الاشتراكيّة، التّي يمكن استخدام تجربته بنجاح من جانب الطبقة العماليّة الصّينيّة، إنّما يدفعان كثيرا إلى أن تسلك الثّورة الصّينيّة الطريق الثّاني.

ومن ناحية أخرى، تضرب الإمبرياليّة الثّورة الصّينيّة، أساسا، بجبهة متّحدة. ولا يوجد الآن بين الإمبرياليّين انشقاق وحروب، مثلما كان عليه حال المعسكر الإمبريالي قبل ثورة أكتوبر ممّا يسبّب ضعف الإمبرياليّة؛ فهذا الواقع يشير إلى أنّ الثّورة الصّينيّة ستعترضها، في طريقها إلى النّصر، صعوبات أكبر من تلك التّي اعترضت ثورة أكتوبر وأنّ الانسحابات والخيانات ستكون أكثر ممّا كان في الحرب الأهليّة في اتّحاد الجمهوريّات السّوفييّتيّة الاشتراكيّة بما لا يقاس.

لذا، فإنّ الصّراع بين هذين الطريقين للثّورة هو السّمة المميّزة للثّورة الصّينيّة.

ولهذا السّبب، على وجه التّحديد، فإنّ مهمّة الشّيوعيّين الأساسيّة هي الكفاح في سبيل انتصار الطريق الثّاني في انتصار الثّورة الصّينيّة.

2. أولى مراحل الثورة الصينية

في أولى مراحل الثّورة الصّينيّة، زمن الحملة الأولى على الشّمال، حيث كان الجيش الوطني يقترب من نهر يانغ-تسي وينجز النّصر تلو النّصر، لكن دون أن تكون قوّة الحركة العماليّة والفلاحيّة قد عظمت بعدُ، سايرت البرجوازيّة الوطنيّة (وليس الكمبرادوريّة) الثّورة.

لقد كانت ثورة كلّ الجبهة الوطنيّة المتّحدة.

لا يعني ذلك أنّه لم تكن هنالك تناقضات بين الثّورة والبرجوازيّة الوطنيّة. فكلّ ما يعنيه ذلك أنّ البرجوازيّة الوطنيّة، إذ تساند الثّورة، فإنّها تحاول أنْ تستغلّها لمصالحها الخاصّة، وأن تحدّ من مداها خلال قيادتها لكامل مسار السّيطرة على الأراضي. والصّراع بين اليمينيّين واليساريّين في الكيومينتانغ هو مظهر تلك التّناقضات في تلك المرحلة.

إنّ محاولة تشان كاي-تشيك طرد الشّيوعيّين من الكيومينتانغ كانت أوّل محاولة جدّية من جانب البرجوازيّة الوطنيّة لمحاربة الثّورة. وكما رأينا، كانت اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البلشفي في الاتّحاد السّوفيّيتي قد اعتبرت أنّ «على الخط أنْ يقوم على بقاء الحزب الشّيوعي في الكيومينتانغ». وأنّ من الضّروري أن «يتّجه العمل نحو إمّا أنْ يستقيل اليمين من الكيومينتانغ أو يطرد منه» (نيسان 1926).

كان هذا الخط ممّا قاد إلى تعاظم تطوّر الثّورة وتعاون متين بين اليساريّين والشّيوعيّين في الكيومينتانغ وفي الحكومة الوطنيّة وتقوية وحدة الكيومينتانغ وفي ذات الوقت فضح اليمينيّين في الكيومينتانغ وعزلهم وإجبارهم على الخضوع لانضباط الكيومينتانغ لاستغلال ما لهم من صلات وتجربة أو طردهم من الكيومينتانغ إنْ خرقوا انضباطه وخانوا مصالح الثّورة.

لقد أكّدت الأحداث اللّاحقة صحّة هذا الخط تأكيدا تامّا. فقد حدث تطوّر عظيم في الحركة الفلاحيّة وتنظيم الجمعيّات الفلاحيّة ولجان الفلّاحين في الأرياف، وموجة قويّة من الإضرابات في المدن، وتأليف المجالس النقّابيّة، وحملة الجيش الوطني المظفّرة على شنغهاي ممّا استدعى إرساء البواخر الحربيّة وإنزال الجيوش الإمبرياليّة – هذه الأحداث وأخرى مماثلة تشير إلى أنّ الخط المعتمد هو الخط الصّحيح الوحيد.

وتفسّر هذه الحالة لوحدها أنّ سعي اليمينيّين في شباط 1927 إلى تقسيم الكيومينتانغ وتركيز مركز جديد عوضا عنه في نان شانغ قد فشل أمام ما أبداه الكيومينتانغ الثّوري في وُوهان من إجماع على مقاومتهم.
لكنّ تلك المحاولة كانت إشارة إلى أنّه قد حدث في البلاد تجمّع للقوى وأنّ اليمينيّين والبرجوازيّة الوطنيّة لم يستسلموا وأنّهم سيشدّدون من نشاطهم ضدّ الثّورة.
لقد كانت اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي في الاتّحاد السّوفييّتي على صواب عندما أعلنت في آذار 1927 أنّ:
﴿أ. في الوقت الحالي، وارتباطا بتجمّع القوى الطبقيّة وتمركز الجيوش الإمبرياليّة، تمرّ الثّورة الصّينيّة بمرحلة دقيقة، ولن تبلغ نجاحاتها المقبلة إلّا إذا تبنّت، بكلّ حزم، تطوير الحركة الجماهيريّة؛
ب. من الضّروري قبول عمليّة تسليح العمال والفلّاحين وتحويل لجان الفلّاحين الجهويّة إلى أجهزة حقيقيّة للسّلطة الحكوميّة مجهّزة بسلاح الدّفاع الذّاتي؛
ت. لا يجب على الحزب الشّيوعي أن يغظ الطرف عن سياسة الخيانة الرجعيّة عند يمين الكيومينتانغ، ويجب عليه أن يعبّأ الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشّيوعي الصّيني قصد فضح اليمينيّين.﴾ (3 آذار 1927)
إذن، سيكون من السّهل أن نفهم أنّ سيل الثّورة الجارف من جهة أولى، والعدوان الإمبريالي على شنغهاي من جهة ثانية، قد كانا في صلة بدفع البرجوازيّة الوطنيّة إلى معسكر الثّورة المضادّة مثلما كانت سيطرة الجيش الوطني على شنغهاي وإضرابات العمال فيها في صلة بتوحّد الإمبرياليّين لسحق الثّورة....
وذلك ما حصل. فمجزة نانكين هي بمثابة تمايز جديد في القوى المتناحرة في الصّين. فبإمطار شنغهاي بالقنابل وتقديم أجل إنّما يريد الإمبرياليّون أن يبيّنوا أنّهم يسعون إلى تقديم العون للبرجوازيّة الوطنيّة قصد صراع مشترك ضدّ الثّورة الصّينيّة.
ومن ناحية أخرى، فتح تشان كاي-تشيك النّار على اجتماعات العمال ونسج انقلابا بمثابة الاستجابة لطلب الإمبرياليّين، فكأنّ لسان حاله يقول أنّه جاهز ليعقد بينهم وبين البرجوازيّين الوطنيّين اتّفاقا ضدّ العمال والفلّاحين الصّينيّين.

3. ثاني مراحل الثورة الصينية

مثّل انقلاب تشان كاي-تشيك مغادرة البرجوازيّة الوطنيّة الثّورة وبروز مركز مضادّ للثّورة قومي وعقد اتّفاق بين يمين الكيومينتانغ والإمبرياليّة ضدّ الثّورة الصّينيّة.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أنّه قد أصبح في جنوب الصّين معسكران وحكومتان وجيشان؛ مركزان: مركز الثّورة في وُوهان ومركز الثّورة المضادّة في نانكين.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أنّ الثّورة قد دخلت ثاني مراحل تطوّرها وأنّ الاندفاع الذّي كان قد بدأ بثورة كلّ الجبهة الوطنيّة المتّحدة قد أصبح ثورة جماهير واسعة من العمال والفلّاحين، أصبحت ثورة زراعيّة ستمكّن من تقوية النّضال ضدّ الإمبرياليّة توسيعه وضدّ النّبلاء والأسياد الإقطاعيّين وضدّ العسكريّين ومجموعة تشان كاي-تشيك المضادّة للثّورة.

يعني ذلك أنّ الصّراع بين طريقي الثّورة؛ بين هذا الذّي يسهّل تطوّرها وذاك الذّي يسهّل تصفيتها، ستزداد حدّته يوما بعد يوم، وسيملأ كامل المرحلة الحاليّة من الثّورة.

يعني ذلك أنّ الكيومينتانغ الثّوري في وُوهان سيصبح فعلا جهاز دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة إذا ما خاض نضالا حازما ضدّ العسكريّة والإمبرياليّة. أمّا مجموعة تشان كاي-تشيك المضادّة للثّورة في نانكين فطالما أنّها تقطع صلتها بالعمال والفلّاحين وتتقرّب من الإمبرياليّة، ستؤول إلى ذات مصير العسكريّين.

لكن ينتج عن ذلك أنّ سياسة الحفاظ على وحدة الكيومينتانغ؛ سياسة عزل اليمينيّين داخل الكيومينتانغ واستخدامهم لأهداف الثّورة، لا تناسب المهمات الجديدة للثّورة ويجب استبدالها بسياسة حازمة لطرد يمين الكيومينتانغ، بسياسة حازمة ضدّ اليمينيّين حتّى يقع التّغلّب عليهم سياسيّا بصورة تامّة، بسياسة تركّز كلّ قوّة البلاد في أيدي كيومينتانغ ثوري، كيومينتانغ ثوري من دون عناصره اليمينيّة، كيومينتانغ كتكتّل من يسار الكيومينتانغ والشّيوعيّين.

كما ينتج عن ذلك أيضا أنّ سياسة التّعاون المتين بين اليساريّين والشّيوعيّين في الكيومينتانغ، الذّي اكتسى أهميّة ومغزى خاصّين في هذه المرحلة، تعكس التّحالف بين العمال والفلّاحين الذّي يتشكّل خارج الكيومينتانغ، ومن دون مثل ذلك التّعاون يستحيل انتصار الثّورة.
كما ينتج عن ذلك أيضا أنّ المصدر الأساسي لقوّة الكيومينتانغ الثّوريّة يكمن في مواصلة تطوّر حركة العمال والفلّاحين الثّوريّة وفي تقوية منظماتها الجماهيريّة – لجان الفلّاحين الثّوريّة، نقّابات العمال، وغيرها من المنظمات الجماهيريّة الثّوريّة -، من جهة أنّها عناصر تحضيريّة للسّوفيّيتات المقبلة، وفي أنّ الضّمانة الرّئيسيّة لانتصار الثّورة هي عمق النّشاط الثّوري عند أوسع الجماهير من الشّعب الشّغيل، وفي أنّ المصل المضادّ للثّورة المضادّة هو تسليح العمال والفلّاحين.
كما ينتج عن ذلك أخيرا أنّ على الحزب الشّيوعي، إلى جانب نضاله في صفوف الكيومينتانغ الثّوري نفسه، أن يحافظ على استقلاليّته أكثر من أي وقت مضى، من جهة أنّها شرط جوهري لضمان هيمنة الطبقة العماليّة على الثّورة البرجوازيّة الدّيمقراطيّة.

4. أخطاء المعارضة

الخطأ الأساسي عند المعارضة (راديك وشركاؤه) أنّها لا تفهم طابع الثّورة في الصّين والمرحلة التّي تجتازها وإطارها العالمي الحالي.
تطالب المعارضة بأن تتطوّر الثّورة الصّينيّة بنفس الوتيرة التّي تطوّرت بها ثورة أكتوبر تقريبا. والمعارضة غير راضية لأنّ عمال شنغهاي لم يخوضوا معركة فاصلة ضدّ الإمبرياليّين وأعوانهم.
لكنّ المعارضة لا تفهم أنّ الثّورة في الصّين لا يمكنها أنْ تتطوّر بوتيرة سريعة بسبب أنّ الوضع العالمي الحالي هو أقلّ ملائمة ممّا كان عليه عام 1917 (ليس الإمبرياليّون في حالة حرب فيما بينهم).
إنّها لا تفهم أنّ المعركة الفاصلة لا يمكن أن تكون في ظروف غير ملائمة؛ حين يكون الاحتياطي غير جاهز مثلما هو حال البلاشفة فلم تكن معركتهم فاصلة في نيسان وآب من عام 1917.

لا تأخذ المعارضة بالحسبان أنّه إذا لم نتفادى معركة فاصلة في ظروف غير ملائمة (عندما يكون من الممكن تفاديها) إنّما يعني جعل الأمور أسهل على أعداء الثّورة.
تطالب المعارضة بتأليف سوفيّيتات نوّاب العمال والفلّاحين والجنود في الصّين فورا. لكن ماذا نعني بتأليف السّوفيّيتات؟
في المقام الأوّل، لا يمكن تأليفها في أيّ وقت نرغب. فلا تتألّف إلّا خلال موجة عاليّة على نحو خاصّ خلال سير الثّورة.
وفي المقام ثاني، وإذا ما أردنا قولا جيّدا، لا تتألّف السّوفيّيتات، أساسا، إلّا كأجهزة نضال ضدّ السّلطة القائمة، كأجهزة نضال في سبيل السّلطة. ولقد كان الحال كذلك عام 1905. تماما مثلما كان الحال في عام 1917.
لكن ماذا يعني تأليف السّوفيّيتات من الجهة العمليّة في الوقت الحالي، مثلا حكومة وُوهان؟ يعني ذلك في هذا المجال رفع شعار النّضال ضدّ السّلطة القائمة. ويعني ذلك رفع شعار تأليف أجهزة سلطة جديدة؛ شعار النّضال ضدّ سلطة الكيومينتانغ الثّوري الذّي يضمّ شيوعيّين يعملون في تكتّل مع يسار الكيومينتانغ؛ ضدّ ما من سلطة أخرى قائمة في المنطقة سوى سلطة الكيومينتانغ الثّوري.
ويعني أيضا أن نخلط بين مهمّة تأليف وتقوية منظّمات العمال والفلّاحين الجماهيريّة – على هيئة لجان الإضراب، التعاونيّات الفلاحيّة، لجان الفلّاحين، المجالس النقّابيّة، لجان المصانع، الخ. – التّي يستند عليها الكيومينتانغ الثّوري، بمهمّة تركيز نظام سوفيّيتي من جهة أنّه نوع من سلطة الدّولة جديد محلّ قوّة الكيومينتانغ الثّوري.
ويعني أخيرا عجز عن فهم ما المرحلة التّي تجتاز الثّورة حاليّا في الصّين. إنّ ذلك يعني أن نضع في أيدي أعداء الشّعب الصّيني سلاحا جديدا ضدّ الثّورة وهو تمكينهم من نشر أساطير جديدة مفادها أنّ ما يحدث في الصّين ليس ثورة وطنيّة بل زرع «سوفيّيت موسكو» اصطناعيّا. لذا، عندما ترفع المعارضة شعار تأليف السّوفيّيتات في الوقت الحالي، فإنّما هي تلعب بين أيدي أعداء الثّورة الصّينيّة.
تعتقد المعارضة أنّ من غير المناسب أن يشارك الحزب الشّيوعي في الكيومينتانغ. لكن ماذا يعني أن ينسحب الشّيوعيّون من الكيومينتانغ الآن في الوقت الذّي تطالب فيه كلّ العصابة

الإمبرياليّة وأعوانها بطرد الشّيوعيّين من الكيومينتانغ؟ يعني ذلك مغادرة معسكر المعركة والتّخلّي عن حلفائهم في الكيومينتانغ لإسعاد أعداء الثّورة. إن ذلك يعني إضعاف الحزب الشّيوعي وعرقلة الكيومينتانغ الثّوري بتسهيل عمل الكافينياكيين في شنغهاي وبتسليم راية الكيومينتانغ، وهي أكثر الرّايات شعبيّة، إلى يمين الكيومينتانغ.

ذلك ما يطلبه، على وجه التّحديد، الإمبرياليّون والعسكريّون ويمين الكيومينتانغ الآن.

إذن، ينتج عن ذلك أنّ المعارضة بإعلانها عن انسحاب الحزب الشّيوعي من الكيومينتانغ في الوقت الحالي إنّما هي تلعب في أيدي أعداء الثّورة الصّينيّة. إنّ الاجتماع الأخير للجنة حزبنا المركزيّة كانت إذن قد تصرّفت بصحّة كاملة عندما رفضت أرضيّة المعارضة رفضا صارما.

حديث مع طلبة جامعة صن يات صن

موسكو، 13 أيّار 1927

أيّها الرّفاق، للأسف، لا أستطيع أن أخصّص إلّا اثنتين أو ثلاث ساعات لنقاش اليوم. وربّما، في المرّة القادمة، نقوم بترتيب أطول محادثة. اليوم، في اعتقادي، قد نقتصر على دراسة الأسئلة التّي كانت قد قدّمت للكتابة. لقد حصلت على عشرة أسئلة في كلّ شيء. سأجيب عليها في نقاش اليوم. إن كانت هناك أسئلة إضافية، وقيل لي هناك، سأحاول أن أجيب عنها في حديثنا المقبل. حسنا. دعونا ننكب على العمل.

السّؤال 1. «لماذا يخطئ راديك عندما يؤكّد أن نضال الفلّاحين في الرّيف الصّيني موجّه ضدّ بقايا الإقطاع أكثر بكثير مما هو موجّه ضدّ البرجوازيّة؟

ما الذّي يمكن تأكيد سيادته في الصّين: الرأسمالية التّجاريّة أم بقايا الإقطاع؟
لماذا يمثّل العسكريون الصّينيون الإقطاعَ وفي ذات الوقت هم أصحاب مؤسّسات صناعيّة كبرى؟»
في الواقع، لا يؤكّد راديك شيئا من قبيل ما ورد في هذا السّؤال. ما أتذكّره هو أنّ ما قاله في كلمته أمام نشطاء منظمة موسكو، إمّا ينفى تماما وجود بقايا الإقطاع في الرّيف الصّيني، أو لا يوليها أهميّة كبيرة.
بالطبع، هذا خطأ فادح عند راديك.
فلو لم تكن هناك بقايا إقطاعيّة في الصّين، أو لم تكن ذات أهميّة كبيرة جدّا بالنّسبة للرّيف الصّيني، لما كانت هناك أرضيّة لقيام الثّورة الزّراعيّة، ولما كانت هناك حاجة للحديث عن الثّورة الزّراعيّة من جهة أنّها إحدى أهمّ مهمات الحزب الشّيوعي في المرحلة الراهنة من الثّورة الصّينيّة.
هل يوجد رأس مال تجاري في الرّيف الصّيني؟
نعم، موجود. وليس موجودا فحسب، بل يمتصّ دم الفلّاحين بقدر لا يقلّ عمّا يقوم به السيّد الإقطاعي. لكن رأس المال التّجاري هذا، وهو من النّوع بدائيّ التّراكم، يمتزج على نحو غير طبيعي، في الرّيف الصّيني، بهيمنة السيّد الإقطاعي والمالك العقّاري، ويعتمد أساليب هذين الأخيرين، أساليب القرون الوسطى، في استغلال الفلّاحين واضطهادهم. ذلك هو بيت القصيد، أيّها الرّفاق.
خطأ راديك هو أنه لم يستوعب هذه الخاصيّة، هذا المزيج من هيمنة بقايا الإقطاع ووجود رأس المال التّجاري في الرّيف الصّيني، إلى جانب الحفاظ على الأساليب الإقطاعيّة من القرون الوسطى في استغلال الفلّاحين واضطهادهم.
تشكّل العسكريّة والتّوشان وكلّ أنواع الحكام وكامل البيروقراطيّة الحاليّة القاسية والجشعة، عسكريّة وغير عسكريّة، بنية فوقيّة لهذه الخاصيّة المميّزة في الصّين.
تدعّم الإمبرياليّة كامل هذه الآلة البيروقراطيّة الإقطاعيّة وتعزّزها.
فواقع أنّ بعض العسكريّين مالكي العقّارات هم في ذات الوقت أصحاب مؤسّسات صناعيّة لا يغيّر شيئا في الأمر. لقد كان الكثير من المالكين العقّاريّين الرّوس، أيضا، يملكون في

ذات الوقت معامل ومؤسّسات صناعيّة أخرى ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا ممثلي بقايا الإقطاع.
إذا كان، في عدد من المناطق، 70 في المائة من أرباح الفلّاحين ينتقل إلى النّبلاء والمالكين العقّاريّين، وإذا كان المالك العقّاري يملك حاليّا سلطة في الاقتصاد والإدارة والقضاء، وإذا كان شراء النّساء والأطفال وبيعهم لا يزال يمارس في عدد من الأقاليم، وجب علينا أن نعترف بأنّ السّلطة المهيمنة في هذه الحالة هي سلطة بقايا الإقطاع، سلطة المالكين العقّاريّين، والبيروقراطيّة عسكريّة وغير عسكريّة، من خلال مزج خاصّ بسلطة رأس المال التّجاري.
إنّها هذه الشّروط الخصوصيّة هي التّي تخلق أرضيّة حركة الفلّاحين الزّراعيّة في الصّين، تلك الحركة التّي لا تنفكّ تتطوّر، وستعظم.
في حال غياب هذه الشّروط، في حال عدم وجود بقايا الإقطاع والقمع الإقطاعي، لن يكون هنالك حديث عن الثّورة الزّراعيّة في الصّين وعن مصادرة أراضي المالكين العقّاريّين، وما إلى ذلك.
في حال غياب هذه الشّروط لن تكون الثّورة الزّراعيّة في الصّين أمرا مفهوما.

السّؤال 2. «لماذا يخطئ راديك عندما يؤكّد أنّه لمّا كان الماركسيّون لا يعترفون بإمكانيّة قيام حزب على أساس طبقات مختلفة، فإنّ الكيومينتانغ هو حزب برجوازي صغير؟»
يستدعي هذا السّؤال بعض الملاحظات.
أولا. تطرح هذه القضيّة على نحو غير صحيح. نحن لم نقل أبدا، وما من أحد قال، أنّ الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة. هذا ليس صحيحا. لقد قلنا دائما أنّ الكيومينتانغ حزب تكتّل طبقات مضطهَدة مختلفة. ليس الأمران نفس الشّيء، أيّها الرّفاق. فإذا كان الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة، فألا يعني ذلك أنّ ولا واحدة من الطبقات المرتبطة بالكيومينتانغ سيكون لها حزبها الخاصّ خارج الكيومينتانغ، وأنّ الكيومينتانغ نفسه سيكون حزبا وحيدا ومشتركا بين جميع تلك الطبقات؟ لكن ما هو الوضع في الواقع؟
أليس للطبقة العماليّة الصّينيّة المرتبطة بالكيومينتانغ، حزبها المستقلّ الخاصّ بها: الحزب الشّيوعي؛ الذّي يتمايز عن الكيومينتانغ وله برنامجه الخاصّ به ومنظّمته الخاصّة به؟ فمن الواضح أنّ الكيومينتانغ ليس حزب طبقات مضطهَدة مختلفة، وإنّما هو حزب تكتّل طبقات

مضطهَدة لها ما يقابلها من منظّمات حزبيّة خاصّة. وبالتّالي، تطرح هذه القضيّة على نحو غير صحيح. في الواقع، في الوقت الحالي في الصّين، يمكن النّظر إلى الكيومينتانغ فقط على أنّه حزب تكتّل طبقات مضطهَدة.

ثانيا. ليس صحيحا أن الماركسيّة لا تعترف، من جهة المبدأ، بإمكانيّة قيام حزب تكتّل طبقات مضطهَدة وثوريّة، وأنّه لا يجوز من جهة المبدأ أن ينخرط الماركسيّون في حزب من هذا القبيل. أيّها الرّفاق، هذا غير صحيح مطلقا. في الواقع، لا فقط تعترف الماركسيّة (وستواصل الاعتراف) بجواز، من جهة المبدأ، بأن ينخرط الماركسيّون في حزب من ذاك القبيل، بل وضعت ذلك المبدأ موضع التّطبيق العملي في ظروف تاريخيّة محدّدة. وأوّد أن أشير إلى مثال ماركس نفسه عام 1848، زمن الثّورة الألمانيّة، عندما انضمّ هو وأنصاره إلى الرّابطة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في ألمانيا وتعاون فيها مع ممثلي البرجوازيّة الثّوريّة. ومن المعروف أن هذه الرّابطة البرجوازيّة الدّيمقراطيّة، هذا الحزب البرجوازي الثّوري، كان قد ضمّ، إلى جانب الماركسيّين، ممثلين عن البرجوازيّة الثّوريّة. وكان ماركس، آنذاك، رئيس تحرير المجلّة الرّينانيّة الجديدة لسان حال الرّابطة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة. فقط في ربيع 1849، عندما بدأت تتراجع الموجة الثوريّة في ألمانيا، استقال ماركس وأنصاره من الرّابطة البرجوازيّة الدّيمقراطيّة، بعد أن قرّر تأليف منظّمة للطبقة العماليّة مستقلّة تماما ولها سياسة طبقيّة مستقلّة.

كما ترون، لقد ذهب ماركس إلى أبعد مما ذهب إليه الشّيوعيّون الصّينيّون في أيامنا هذه، الذّين يشكّلون جزءا من حزب الكيومينتانغ كحزب عمالي مستقلّ له منظّمته الخاصّة على وجه التّحديد.

قد يجادل البعض فيما إذا كان من الأنسب لماركس وأنصاره الانضمام إلى الرّابطة البرجوازيّة الدّيمقراطيّة في ألمانيا عام 1848، حين كان الأمر يتعلّق بخوض النّضال الثّوري ضدّ الأوتوقراطيّة بالاشتراك مع البرجوازيّة الثّوريّة. هذا قضيّة تكتيكية. لكنّ الأمر الذّي لا شكّ فيه هو أنّ ماركس كان قد أقرّ من النّاحية المبدئيّة بجواز مثل ذلك الانضمام.

ثالثا. سيكون من غير الصحيح في الأساس القول بأن حزب الكيومينتانغ في وُوهان هو حزب برجوازي صغير والوقوف عند هذا الحدّ. فلا يمكن أن يصف الكيومينتانغ على هذا النّحو إلّا أشخاص لم يفهموا لا الإمبرياليّة في الصّين ولا طابع الثّورة الصّينيّة. فليس

الكيومينتانغ حزبا برجوازيّا صغيرا «عاديّا». وهناك أنواع مختلفة من الأحزاب البرجوازيّة الصّغيرة. لقد كان المناشفة والاشتراكيون الثّوريّون في روسيا حزبان برجوازيّان صغيران أيضا لكنّهما كانا، في ذات الوقت، حزبان إمبرياليّان، لأنّهما كانا في تحالف حربي مع الإمبرياليّين الفرنسيّين والبريطانيّين، وينخرطان إلى جانبهم في غزو واضطهاد بلدان أخرى مثل تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا.

هل يمكننا أن نقول أنّ الكيومينتانغ هو حزب إمبريالي؟ بالطبع لا، فحزب الكيومينتانغ معادي للإمبرياليّة تماما مثلما هي الثّورة في الصّين معادية للإمبرياليّة.

والاختلاف هنا أساسيّ. فأيّ شخص لا يقف على هذا الاختلاف ويخلط بين الكيومينتانغ المعادي للإمبرياليّة وبين الأحزاب الإمبرياليّة من قبيل الاشتراكيين الثّوريّين والمناشفة إنّما هو شخص لا يمتلك أيّ فهم للحركة الوطنيّة الثّوريّة في الصّين.

وبطبيعة الحال، لو كان الكيومينتانغ حزبا برجوازيّا صغيرا إمبرياليّا، لما ألّف الشّيوعيّون الصّينيّون تكتّلا معه، ولكانوا قد حاربوه. فحقيقة الأمر أنّ الكيومينتانغ حزبٌ معادي للإمبرياليّة يخوض نضالا ثوريّا ضدّ الإمبرياليّين وعملائهم في الصّين. وعلى هذا الصعيد، يقف حزب الكيومينتانغ في منزلة أعلى من منزلة كلّ «الاشتراكيين» الإمبرياليّين من رهط كيرنسكي وتسيريتيلي.

فحتّى تشانغ كاي-تشيك، وهو يمين الكيومينتانغ، والذّي قبل أن ينفّذ انقلابه ويشارك في مختلف المكائد ضدّ يسار الكيومينتانغ والشّيوعيّين، وحتّى ذلك الحين، كان يفوق كيرنسكي وتسيريتيلي؛ ففي حين كان كيرنسكي وتسيريتيلي يحاربان من أجل استعباد تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا، ممّا يساعد على تقوية الإمبرياليّة، كان تشانغ كاي-تشيك يناضل، سواء كان جيّدا أو سيّئا، ضدّ استعباد الصّين ممّا كان يساعد على إضعاف الإمبرياليّة.

خطأ راديك، والمعارضة عموما، هو أنّه يتجاهل طابع الصّين شبه المستعمَر، ولا يراعي طابع الثورة الصّينيّة المعادي للإمبرياليّة، ولا يرى في كيومينتانغ وُوهان من دون يمين الكيومينتانغ مركز نضال الجماهير الكادحة الصّينيّة ضدّ الإمبرياليّة.

السّؤال 3. «أليس هناك تناقض بين تقديركم للكيومينتانغ (خطابكم في اجتماع طلبة الجامعة الشّيوعيّة لشغيلة الشّرق، 18 أيّار 1925) كتكتّل قوّتين -الحزب الشّيوعي والبرجوازيّة الصّغيرة- والتّقدير المتضمّن في قرار الأمميّة الشّيوعيّة في الكيومينتانغ كتكتّل أربع طبقات، بما فيها البرجوازيّة الكبيرة؟

هل يمكن للحزب الشّيوعي الصّيني أن يظلّ في الكيومينتانغ إذا ما قامت دكتاتوريّة الطبقة العماليّة في الصّين؟»

في المقام الأول، يجب أن أشير إلى أنّ تحديد الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ الذّي قدّمته الأمميّة الشّيوعيّة في كانون الأول 1926 (الاجتماع السّابع الموسّع) قد ورد على نحو غير صحيح في «سؤالك» فلم يكن على نحو دقيق جدّا. فـ«سؤالك» يقول: «بما فيها البرجوازيّة الكبيرة». لكنّ الكمرادوريّون هم أيضا برجوازيّة كبيرة. فهل يعني هذا أنّ الأمميّة الشّيوعيّة تعتبر، في كانون الأول عام 1926، البرجوازيّة الكمبرادوريّة عضوا في التّكتل داخل الكيومينتانغ؟ من الواضح أن لا. ذلك أنّ البورجوازية الكمبرادوريّة كانت، ولا تزال، العدوّ اللّدود للكيومينتانغ. ولا يتحدّث قرار الأمميّة الشّيوعيّة عن البرجوازيّة الكبيرة بشكل عام، ولكن عن «جزء من البرجوازيّة الرأسمالية». وبالتّالي، فما يشار إليه هنا ليس أيّ نوع من البرجوازيّة الكبيرة، وإنّما برجوازيّة وطنيّة من النوع غير الكمبرادوري.

في المقام الثّاني، يجب أن أقول أنّني لا أرى أي تناقض بين هذين التّحديدين للكيومينتانغ. ولا أرى أيّ من ذلك لأنّ ما لدينا هنا هو تحديد للكيومينتانغ من وجهتي نظر مختلفتين، فما من واحد منهما يمكننا أن نقول عنه أنّه غير صحيح؛ فكلاهما صحيحان.

عندما تحدّثت عام 1925 عن الكيومينتانغ من جهة أنّه حزب تكتّل العمال والفلّاحين، لم أكن أرمي إلى وصف الوضع الحالي في الكيومينتانغ، وإلى وصف الطبقات المرتبطة فعلا بالكيومينتانغ عام 1925. فعندما تحدّثت عن الكيومينتانغ حينئذ كنت أفكّر فيه فقط من جهة أنّه نوع من جهاز لحزب ثوري شعبي مميّز في بلدان الشّرق المضطهَدة، خصوصا في بلدان من قبيل الصّين والهند؛ من جهة أنّه نوع الجهاز من قبيل الحزب الثّوري الشّعبي الذّي يجب أن يرتكز على تكتّل ثوري للعمال والبرجوازيّة الصّغيرة في المدينة والرّيف. ولقد ذكرت بوضوح حينئذ أنّه «يجب على الشّيوعيّن في مثل تلك البلدان أن يمرّوا من سياسة الجبهة

الوطنيّة المتّحدة إلى سياسة التّكتّل الثّوري للعمال والبرجوازيّة الصّغيرة» (أنظر: «المهمات السّياسيّة للجامعة الشّيوعيّة لشعوب الشّرق» في: ستالين: قضايا اللينينيّة، ص 264).
وبالتّالي، فما كان يدور في ذهني لم يكن الحاضر، وإنّما مستقبل الأحزاب الثّوريّة الشّعبيّة بوجه عام، والكيومينتانغ بوجه خاصّ. وكنتُ على صواب تامّ في ذلك.
لا يمكن لمنظمات من قبيل الكيومينتانغ أن يكون لها مستقبل إلّا إذا سعت إلى بناء نفسها على تكتّل العمال والبرجوازيّة الصّغيرة، وعند الحديث عن البرجوازيّة الصّغيرة يجب أن يذهب تفكيرنا أساسا إلى الفلّاحين الذّي يألّفون القوّة الأساسيّة للبرجوازيّة الصّغيرة في البلدان المتخلّفة من النّاحية الرّأسماليّة.
كما اهتمّت الأمميّة الشّيوعيّة بنواحي مختلفة من هذه القضيّة. ففي اجتماعها السّابع الموسّع قدّرت الكيومينتانغ لا من جهة مستقبله وما يجب أن يكون عليه، وإنّما من جهة ما هو عليه في الوقت الحاضر، في الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ، وفقط من جهة ما هي الطبقات المرتبطة به فعلا عام 1926. ولقد كانت الأمميّة الشّيوعيّة على صواب تامّ عندما أعلنت أنّه، في ذلك الوقت، وطالما لم يحدث بعدُ انقسام في الكيومينتانغ، فإنّه يؤلّف في الواقع تكتّل العمال والبرجوازيّة الصّغيرة (الحضريّة والرّيفية) والبرجوازيّة الوطنيّة. يمكننا أن نضيف هنا أنّ الكيومينتانغ كان قد استند على تكتّل تلك الطبقات لا في عام 1926، وإنّما في عام 1925.
إنّ قرار الأمميّة الشّيوعيّة، الذّي ساهمتُ في صياغته مساهمة كبيرة، ينصّ بوضوح على أنّ «تؤلّف الطبقة العماليّة تكتّلا مع الفلّاحين. وهي تتدخّل بنشاط في النّضال لمصلحتها الخاصّة إلى جانب البرجوازيّة الصّغيرة الحضريّة وقسم من البرجوازيّة الرأسمالية». وأنّ «هذا المزيج من القوّات قد أوجد تعبير سياسيا عنه فيما يقابله من تجمّع داخل الكيومينتانغ وحكومة كانتون».
لكن بقدر ما لم تقتصر الأمميّة الشّيوعيّة على الوضع الحالي عام 1926، فقد تطرّقت أيضا إلى مستقبل الكيومينتانغ. فلا يمكن لذلك التّكتّل إلّا أن يكون مؤقّتا. ومحكوم عليه، في المستقبل القريب، بأن يحلّ محلّه تكتّل الطبقة العماليّة والبرجوازيّة الصّغيرة. ولهذا السّبب بالضبط يمضي قرار الأمميّة الشّيوعيّة إلى القول بأنّ «الحركة في الوقت الحالي على عتبة

مرحلة ثالثة، وذلك عشيّة إعادة تجميع للقوى جديد»، وأنّه «في هذه المرحلة من التّطوّر فإن القوّة الأساسيّة للحركة هي تكتّل ذو طابع أكثر ثوريّة؛ تكتّل الطبقة العماليّة والفلّاحين والبرجوازيّة الصّغيرة الحضريّة، والإطاحة بالقسم الأعظم من البرجوازيّة الرأسمالية الكبيرة». (المرجع نفسه)

ذلك هو، على وجه التّحديد، تكتّل العمال والبرجوازيّة الصّغيرة (الفلّاحين) الذّي يقوم عليه الكيومينتانغ والذّي يجب أن يستند عليه، والذّي بدأ بالفعل في التّبلور في وُوهان بعد انقسام الكيومينتانغ وخيانة البرجوازيّة الوطنيّة، وذلك ما كنت قد تحدثت عنه في خطابي في الجامعة الشّيوعيّة لشغيلة الشّرق عام 1925. (أنظر أعلاه)

وبالتّالي لدينا تحديدان للكيومينتانغ من ناحيتين مختلفين:

أ) من ناحية سمات حاضره، من ناحية الوضع الجاري داخل الكيومينتانغ عام 1926؛

ب) من ناحية سمات مستقبله، من ناحية ما يجب أن يكون عليه الكيومينتانغ، كنوع من الجهاز للحزب الثّوري الشّعبي في بلدان الشّرق.

كلا التّحديدان مشروعان وصحيحان، لأنّهما يتناولان الكيومينتانغ من ناحيتين مختلفين، ويقدّمان، في آخر التّحليل لوحة شاملة.

ولسائل أن يسأل أمن تناقض هنا؟

دعونا، من أجل مزيد من الوضوح، نتناول «حزب العمال» في بريطانيا («حزب العمل»). نحن نعلم أن هناك في بريطانيا حزب خاصّ للعمال يستند على النقابات العماليّة في المصانع وعمال المكاتب. لا نتردّد في تسميه بالحزب العمالي. وهو يسمّى هكذا لا في بريطانيا فحسب وإنّما أيضا في كلّ الأدبيّات الماركسيّة الأخرى.

لكن هل يمكننا أن نقول أن ذلك الحزب هو حزب للعمال حقّا، حزب طبقي للعمال، ويعارض البرجوازيّة؟هل يمكننا أن نقول أنّه حاليّا حزب طبقة واحدة؛ الطبقة العماليّة، وليس حزب طبقتين؟ كلّا، إنّه ليس كذلك. حاليّا، حزب العمل في بريطانيا هو حزب تكتّل العمال والبرجوازيّة الصّغيرة الحضريّة؛ إنّه حاليّا حزب تكتّل طبقتين. وإذا ما تساءلنا أيّهما أقوى نفوذا في هذا الحزب، هل هم العمال الذّين يعارضون البرجوازيّة أم البرجوازيّة الصّغيرة، فلا بدّ من القول بأن نفوذ البرجوازيّة الصّغيرة هو المهيمن في هذا الحزب.

وذلك ما يفسر لماذا حزب العمال البريطاني هو حاليّا بمثابة ذراع الحزب الليبرالي البرجوازي.

ولا تزال الأدبيّات الماركسيّة تسميّه حزب العمال.

كيف نفسّر هذا «التناقض»؟ تفسير ذلك هو أنه عندما يتمّ تحديد هذا الحزب على أنّه حزب العمال، فإنّ ما يقصد عادة ليس الوضع الحالي داخل الحزب، وإنّما نوع تركيبة حزب العمال الذّي يجب أن يكون عليه في المستقبل؛ بفضل توفّر شروط معيّنة، يصبح حزبا للعمال حقّا، ويقف في وجه العالم البرجوازي. هذا لا يمنع، بل على العكس، يفترض أن هذا الحزب هو في الواقع، حاليّا، حزب تكتّل العمال والبرجوازيّة الصّغيرة الحضريّة.

ما من تناقض فيما قلته للتو في الكيومينتانغ.

هل سيكون من الممكن للحزب الشّيوعي الصّيني البقاء في الكيومينتانغ إذا ما قامت دكتاتوريّة الطبقة العماليّة في الصّين؟

وأعتقد أنّ ذلك سيكون غير مناسب، وبالتّالي مستحيلا. سيكون ذلك غير مناسب، ليس فقط إذا ما قامت دكتاتوريّة الطبقة العماليّة، ولكن أيضا إذا ما تمّ تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين. ماذا يعني تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين؟ إنّه هو يعني خلق ازدواجية السّلطة. إنّه يعني قيام صراع على السّلطة بين الكيومينتانغ والمجالس.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلّاحين هو تحضير الانتقال من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة، إلى الثّورة الاشتراكية. هل يمكن أن يتم مثل ذلك التّحضير في ظل قيادة حزبين ينتميان إلى حزب دّيمقراطي ثوري مشترك؟ كلّا، ذلك غير ممكن. يعلّمنا تاريخ الثّورة أنّه لا يمكن أن يتمّ التّحضير لدكتاتوريّة الطبقة العماليّة والانتقال إلى الثّورة الاشتراكية إلّا بقيادة حزب واحد هو الحزب الشّيوعي، إذا كنا نتحدّث، بطبيعة الحال، عن ثورة عماليّة حقيقية. يعلّمنا تاريخ الثّورة أنّه لا يمكن انجاز دكتاتوريّة الطبقة العماليّة وتطويرها إلّا بقيادة حزب واحد هو الحزب الشّيوعي، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فلا يمكن أن يكون هنالك دكتاتوريّة عماليّة حقيقيّة وكاملة للطبقة العماليّة في الظروف الإمبرياليّة.

يترتّب على ذلك، أنّه لا فقط عندما تكون هنالك دكتاتوريّة الطبقة العماليّة، بل حتّى قبل مثل تلك الدّكتاتوريّة، حين يتمّ تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين، سوف يضطر الحزب الشّيوعي إلى الانسحاب من الكيومينتانغ لإجراء الاستعدادات لأكتوبر صيني تحت قيادته الحصرية الخاصّة.

أعتقد أنه في فترة تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين، والتحضير لأكتوبر الصّيني، سوف يتوجّب على الحزب الشّيوعي الصّيني أن يستبدل التكتّل الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتّل خارجه، أقول، من قبيل التكتّل الذّي كان لنا مع يسار الاشتراكيين الثّوريّين في فترة الانتقال إلى أكتوبر.

السّؤال 4. «هل حكومة وُوهان هي دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فما هي طرق النّضال الأخرى لإقامة الدّكتاتوريّة الدّيمقراطيّة؟

وهل مارتينوف على صواب عندما يؤكّد بأن الانتقال إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة ممكن دون ثورة «ثانيّة»، وإذا كان ذلك كذلك، أين هو الخط الفاصل بين الدّكتاتوريّة الدّيمقراطيّة والدّكتاتوريّة العماليّة والصّين؟»

لم تصبح حكومة وُوهان دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة بعدُ. قد تصبح كذلك. وستصبح بالتّأكيد دكتاتوريّة ديمقراطيّة إذا ما تطوّرت الثّورة الزّراعيّة على نحو كامل. لكنها لم تصبح جهاز دكتاتوريّة من هذا القبيل بعدُ.

ماذا يلزم لتحويل حكومة وُوهان إلى جهاز لدكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة؟ يلزم أمران لذلك على الأقل:

أولا، يجب أن تصبح حكومة وُوهان حكومة ثورة زراعيّة-فلاحيّة في الصّين، حكومة تقدّم أكبر سند لهذه الثّورة؛

ثانيا، يجب على الكيومينتانغ أن يجدّد قيادته العليا بقادة جدد من الحركة الزّراعية من بين صفوف الفلّاحين والعمال وأن يوسّع منظماته الدّنيا بأن يدمج فيها جمعيّات الفلّاحين ومجالس نقّابات العمال والمنظمات الثّوريّة الأخرى في المدينة والرّيف.

في الوقت الحالي، لدى الكيومينتانغ ما يناهز 500 ألف عضو. وهذا عدد ضئيل، ضئيل على نحو رهيب بالنّسبة للصّين.

يجب على الكيومينتانغ أن يضمّ الملايين من الفلّاحين والعمال الثّوريّين، وبالتّالي يجب عليه أن يصبح منظّمة ديمقراطيّة ثوريّة عظيمة من ملايين كثيرة.

فقط في ظلّ هذه الظروف سيصبح الكيومينتانغ في وضع يمكنه من تأليف حكومة ثوريّة والتّي ستصبح جهاز دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة.

لا علم لي إن كان الرفيق مارتينوف قد تحدّث حاليّا عن الانتقال السّلمي إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة. أنا لم أقرأ مقال الرّفيق مارتينوف، أنا لم أقرأه لأنّه من غير الممكن لي أن أنظر في كلّ ما لدينا من أدب اليوم تلو اليوم.

لكن إذا كان قد قال فعلا بإمكانيّة الانتقال السّلمي من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة في الصّين، فذلك خطأ.

طلب شوغينوف منّي ذات مرّة: «ما رأيك يا رفيق ستالين. ألن يكون من الممكن ترتيب الأمور من خلال الكيومينتانغ فنمرّ دفعة واحدة إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة بالوسائل السّلميّة؟» وأنا بدوري سألته: «وما الذّي يعجبك يا رفيق شوغينوف في الصّين، هل هو يمين الكيومينتانغ والبرجوازيّة الرّأسماليّة والإمبرياليّة؟» فأجاب: «حسنا. وبعدُ.» قلت: «لا مفرّ من الصّراع.» كان ذلك قبل انقلاب تشانغ كاي-تشيك. بطبيعة الحال، يمكن نظريّا، تصوّر إمكانيّة تطوّر سلمي للثورة في الصّين. ولينين، على سبيل المثال، في إحدى المناسبات، رأى أنّ التّطوّر السّلمي للثّورة في روسيا ممكنا من خلال السّوفييتات. وكان ذلك في الفترة الممتدّة من نيسان إلى آب 1917. ولكن بعد هزيمة آب أقرّ لينين بأنّ الانتقال السّلمي للثّورة العماليّة قد أصبح غير وارد على الإطلاق. وأعتقد أنّه يجب أن نعتبر الانتقال السّلمي للثّورة العماليّة في الصّين أمرا غير وارد أكثر بكثير. لماذا؟

أولا، لأنّ أعداء الثّورة الصّينيّة، على الصّعيدين الدّاخلي (تشانغ تسو، لين، تشانغ كاي-تشيك، البرجوازيّة الكبيرة، النبلاء، المالكون العقّاريّون...) والخارجي (الإمبرياليّون)، أكثر عددا وأكثر قوّة بحيث لا يسمح ذلك بالتّفكير في أن تتطوّر الثّورة وأن تمضي إلى الأمام دون معارك كبيرة ودون انقسامات وخيانات خطيرة؛

وثانيا، لأنّه لا يوجد سبب حتّى نعتبر الكيومينتانغ الشّكل التّنظيمي للدّولة اللّازم للانتقال من الثّورة البرجوازيّة الدّيمقراطيّة إلى الثّورة العماليّة؛

وأخيرا، لأنه إذا كان، على سبيل المثال، في روسيا لم ينجح الانتقال السّلمي إلى الثّورة العماليّة من خلال السّوفييات، التّي هي نموذج كلاسيكي للثّورة العماليّة، فما هو الأساس هنا حتّى نفترض أنّ هذا التّحول يمكن أن ينجح من خلال الكيومينتانغ؟

لذا، أعتقد أنه يجب أن نعتبر الانتقال السّلمي إلى الثّورة العماليّة غير وارد في الصّين.

السّؤال 5. «لماذا لم تهاجم حكومة وُوهان تشانغ كاي-تشيك، في حين أنّها تسدّد الضّربات لتشانغ تسو لين؟

ألا يجعل تزامن الهجمتين على الشّمال من جانب حكومة وُوهان ومن جانب تشانغ كاي جبهة النّضال ضدّ البرجوازيّة الصّينيّة أمرا غامضا؟»

حسنا، أيّها الرّفاق. أنتم تطلبون الكثير من حكومة وُوهان. بطبيعة الحال، سيكون من الدّقيق جدّا، التّغلّب على تشانغ تسو لين وتشانغ كاي-تشيك ولي تشى شين والسناتور يانغ في وقت واحد. لكن وضع حكومة وُوهان الحالي لا يسمح لها بشنّ الهجوم على جميع الجبهات الأربع في وقت واحد. تعهّدت حكومة وُوهان بالهجوم ضدّ الموكدين لسببين على الأقلّ:

أولا، لأنّ الموكدين يتقدّمون نحو وُوهان ويريدون القضاء عليها. وبالتّالي كان الهجوم عليهم تدبيرا دفاعيّا عاجلا للغاية؛

وثانيا، لأنّ أهالي وُوهان يرغبون في الانضمام إلى قوّات فينغ يو زيانغ والمضي قدما من أجل توسيع قاعدة الثّورة، التّي، مرّة أخرى، هي قضيّة ذات أهميّة عسكريّة وسياسيّة قصوى لمدينة وُوهان في الوقت الحاضر.

إنّ الهجوم في وقت واحد على جبهتين هامّتين مثل جبهتي تشانغ كاي-تشيك، وتشانغ تسو لين، هو في الوقت الحالي أكبر من طاقة حكومة وُوهان. فهي أبعد من تهاجم سين يانغ غربا وتهاجم لي تشى شين جنوبا.

كنا، نحن البلاشفة، أقوياء زمن الحرب الأهليّة. ولم نتمكن، إلى الآن، من تطوير عمليّات هجومية ناجحة على كلّ الجبهات. فهل من سبب يجعلنا نتوقّع أكثر من ذلك من حكومة وُوهان في الوقت الحاضر؟

وفضلا عن ذلك، ماذا يعني الهجوم على شنغهاي الآن في الوقت الذّي يتقدّم فيه الموكدون وأنصار وُو بي فو نحو وُوهان من الشّمال؟

يعني ذلك جعل الأمور أسهل بالنّسبة للموكدين وتأجيل الاتحاد مع قوّات فينغ لأجل غير مسمّى، دون الحصول على أي شيء في شرق البلاد. في الوقت الحاضر، فلنترك تشانغ كاي-تشيك يتقدّم متعثّرا في منطقة شنغهاي ويسامر الإمبرياليّين هناك.

ستكون هناك معارك في شنغهاي، ولكنّها لن تكون من قبيل ما يجري الآن في شانغشو وغيرها.
لا. المعارك المقبلة هناك ستكون أكثر خطورة بكثير. والإمبرياليّة لن تتخلّى بسهولة عن شنغهاي؛ فهي مركز العالم ونقطة تتقاطع المصالح الأساسيّة للمجموعات الإمبرياليّة.
ألن يكون من الأنسب الانضمام إلى قوّات فينغ، وكسب قوّة عسكريّة كافية، وتطوير الثّورة الزّراعيّة على نحو كامل، والاستمرار في العمل المكثّف لإحباط قوّات تشانغ كاي-تشيك في المؤخّرة وفي الجبهة، ثم بعد ذلك، نعالج مشكل شنغهاي برمته؟ أعتقد أنّ ذلك سيكون أنسب.

وبالتّالي، فليس في الأمر ما يمكن أن «يطمس» جبهة النّضال ضدّ البرجوازيّة الصّينيّة، لأنّه لا يمكن أن يكون ذلك إذا ما تطوّرت الثّورة الزّراعيّة، وهي تتطوّر وستستمر في التّطوّر. وما من شكّ الآن في ذلك. وأكرر، ليس الأمر قضيّة «طمس»، وإنّما قضيّة تطوير تكتيكات القتال المناسبة.

يعتقد بعض الرّفاق أن هجوما على جميع الجبهات الآن هو علامة رئيسية على الرّوح الثّوريّة. كلّا، أيّها الرّفاق. هذا ليس صحيحا. لن يكون الهجوم على جميع الجبهات في هذه اللحظة إلّا غباء، وليس دليلا على الرّوح الثّوريّة. لا يجب الخلط بين الغباء الروح الثّوريّة.

السّؤال 6. «هل ثورة كماليّة أمر ممكن في الصّين؟»
أرى أنّ ذلك غير محتمل في الصّين، وبالتّالي مستحيل.
الثّورة الكماليّة أمر غير ممكن إلّا في بلدان من قبيل تركيا وبلاد فارس وأفغانستان، حيث لا توجد فيها طبقة عماليّة صناعيّة أو هي كذلك عمليّا، وحيث لا توجد فيها ثورة زراعيّة-فلاحيّة عظيمة.
الثّورة الكماليّة هي ثورة الشّريحة العليا؛ ثورة البرجوازيّة التّجاريّة الوطنيّة، التّي نشأت في الصّراع ضدّ الإمبرياليّة الأجنبيّة، والتّي وُجّه تطوّرها اللّاحق، أساسا، ضدّ الفلّاحين والعمال؛ ضدّ إمكانيّة قيام ثورة زراعيّة.
الثّورة الكماليّة أمر مستحيل في الصّين للأسباب التّالية:

أ) يوجد في الصّين حدّ أدنى معيّن من طبقة عماليّة صناعيّة قويّة ونشيطة وتحظى بهيبة كبيرة بين الفلّاحين؛
ب) توجد في هذا البلد ثورة زراعيّة متطوّرة يكنس تقدّمها بقايا الإقطاع.
إنّ حركة الفلّاحين الواسعة التّي حجزت الأراضي فعلا في بعض المحافظات وتشحذ نضال الطبقة العماليّة الثّوريّة في الصّين إنّما هي ترياق ضدّ احتمال ما يسمّى بالثّورة الكماليّة.
لا يمكن للحزب الكمالي أن يوضع على قدم المساواة مع حزب يسار الكيومينتانغ في وُوهان، تماما كما لا يمكن أن توضع تركيا على قدم المساواة مع الصّين. تركيا ليس لديها مراكز مثل شنغهاي ووُوهان ونانكين، تيانسين، وغيرها. أنقرة أبعدُ من وُوهان بكثير، كما أن الحزب الكمالي أبعدُ من يسار الكيومينتانغ بكثير.
يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الصّين وتركيا من جهة أهمّيتهما الدوليّة.
بالنّسبة إلى تركيا، حقّقت فيها الإمبرياليّةُ، فعلا، عددا من مطالبها الرّئيسيّة؛ انتزعت منها سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين وغيرها من النقاط ذات الأهميّة بالنّسبة للإمبرياليّة. وأضحت تركيا الآن بلدا صغيرا يتراوح تعداد سكّانه بين عشرة واثني عشرة مليون نسمة. ولا تمثل بالنّسبة للإمبرياليّة سوقا ذا أهميّة أو حقلا حاسم للاستثمار. وأحد الأسباب التّي صادفت ذلك هو أنّ تركيا القديمة كانت تجمّع قوميّات إلى جانب السكّان الأتراك المجمّعين في الأناضول حصرا.
ليس الأمر كذلك في الصّين. الصّين بلد مجمّع وطنيّا، ويبلغ عدد سكانها بضع مئات من ملايين، وتمثّل أحد أهم الأسواق ومجالات تصدير رأس المال في العالم. ففي حين تكتفي الإمبرياليّة في تركيا بأن تقتطع منها عدد من المناطق الهامّة جدّا في الشّرق، وتستغلّ التّناقضات القوميّة بين الأتراك والعرب في تركيا القديمة. فإنّها تضرب جسد الصّين الوطني الحي، وتقطّع أوصاله، وتقطّع كلّ محافظة منه، من أجل الحفاظ على مواقعها القديمة، أو على الأقل الإبقاء على البعض منها.
لذا، ففي حين أوقف الكماليون النّضال ضدّ الإمبرياليّة في تركيا عند ثورة معادية للإمبرياليّة غير ناجزة، فإنّ النّضال ضدّ الإمبرياليّة في الصّين له طابع شعبيّ عميق ووطنيّ مميّز وقابل

لأن يتعمّق فيه تطوّر الصّراع مع الإمبرياليّة خطوة تلو الخطوة؛ إنّه نضال يهزّ أسس الإمبرياليّة في جميع أنحاء العالم.

أحد أخطر أخطاء المعارضة (زينوفييف، راديك، تروتسكي) هو الفشل في إدراك هذا الاختلاف العميق بين تركيا والصّين، والخلط بين الثّورة الكماليّة والثّورة الزّراعيّة، وجمع كلّ شيء في سلّة واحدة دون تمييز.

أعلم أنّ من بين الوطنيّين الصّينيّين أشخاص يفتخرون بالأفكار الكماليّة، ويزعمون صراحة أنّ لكمال دور في الصّين اليوم.

وزعيم أولئك الأشخاص هو تشانغ كاي-تشيك. وأعلم أنّ بعض الصّحفيّين اليابانيّين يميلون إلى اعتبار تشانغ كاي-تشيك كمال الصّين. لكن كلّ ذلك حلم، إنّه وهم البرجوازي الخائف.

يجب أن يذهب الانتصار في الصّين إمّا إلى موسيليني الصّين من رهط تشانغ تسو-لين وتشانغ تسونغ-تشانغ، الذّين هم من ستطيح بهم موجة الثّورة الزّراعيّة في وقت لاحق، وإمّا إلى وُوهان.

لا بدّ، حتما، لتشانغ كاي-تشيك وأتباعه، الذّين يحاولون اتّخاذ موقف وسطي بين هذين المعسكرين، أن يسقطوا وأن تقاسموا مصير تشانغ تسو-لين وتشانغ تسونغ-تشانغ.

السّؤال 7. «هل يجب رفع شعار الحجز المباشر للأرض من قبل الفلّاحين في الصّين في الوقت الحالي. وكيف يجب إجراء حجز الأراضي في هونان؟»

أعتقد أنّ علينا أن نرفع ذلك الشّعار. ففي الواقع، ما يجري تنفيذه بالفعل في مناطق معيّنة هو شعار مصادرة الأرض. ففي عدد من المناطق، مثل هونان وغيرها، قد قام الفلّاحون فعلا بحجز الأرض من الأسفل، وهم يؤلّفون محاكم خاصّة بهم وأجهزة تأديبيّة خاصّة بهم ولجان دفاعهم الذّاتي الخاصّة بهم. وأعتقد أنه في المستقبل القريب جدّا سيذهب كلّ الفلّاحين في الصّين إلى أبعد من شعار مصادرة الأرض.

هنا تكمن قوّة الثّورة الصّينيّة.

إذا ما أرادت وُوهان أن تفوز وإذا ما كانت تريد أن تخلق قوّة حقيقيّة ضدّ تشانغ تسو-لين وتشانغ كاي-تشيك وكذلك ضدّ الإمبرياليّة، على حدّ سواء، فلا بدّ لها من تقدّم أقصى الدّعم للثّورة الزّراعيّة-الفلاحيّة في مصادرة أراضي المالكين العقّاريّين.

سيكون من الحماقة أن نعتقد أن من الممكن الإطاحة بالإقطاع والإمبرياليّة في الصّين بالصّراع المسلّح لوحده. فبدون ثورة زراعيّة، وبدون أن تدعّم جماهيرُ الفلّاحين والعمال جيشَ وُوهان دعما نشيطا، لا يمكن أن نطيح بتلك القوّات.
غالبا ما تقدّر المعارضةُ انقلابَ تشانغ كاي-تشيك على أنّه انحسار في الثّورة الصّينيّة. هذا خطأ. إنّ الذّين يقدّرون انقلاب تشانغ كاي-تشيك على أنّه انحسار في الثّورة الصّينيّة هم في الواقع ينحازون إلى تشانغ كاي-تشيك، وهم في الواقع ينحازون إلى قبول تشان كاي-تشيك إلى كيومينتانغ وُوهان مرّة أخرى. فهم يعتقدون، على ما يبدو، أنّه لو أنّ تشانغ كاي-تشيك لم يذهب بعيدا في انفصاله لسارت الثّورة على نحو أفضل. إنّ ذلك لمن الحماقة ومن غير الثّوريّة.
لقد أدّى انقلاب تشانغ كاي-تشيك، في واقع الأمر، إلى أن يشرع الكيومينتانغ في تطهير مركزه من الورم والتّوجّه نحو اليسار. بالطبع، كان لا بدّ لانقلاب تشانغ كاي-تشيك من أن يسفر عن هزيمة جزئيّة للعمال في عدد من المناطق. لكن ذلك لم يزد عن كونه هزيمة جزئيّة ومؤقّتة. في الواقع، مع انقلاب تشانغ كاي-تشيك، دخلت الثّورة بمجملها مرحلة من التطوّر أعلى؛ مرحلة حركة زراعيّة.
هنا تكمن قوّة الثّورة الصّينيّة وعظمتها.
يجب ألا نرى تقدّم الثّورة تقدّما في خط تصاعدي متواصل. فذلك منحى مدرسي، وليس فهما واقعيّا للثّورة. فالثّورة تتحرّك دوما بالتواءات؛ نهوض وتحطيم للنّظام القديم في بعض المناطق، وتكبد هزائم جزئيّة وتراجع في مناطق أخرى. انقلاب تشانغ كاي-تشيك هو أحد تلك الالتواءات في مسار الثّورة الصّينيّة، واحدة أن هناك حاجة من أجل تطهير الثّورة من التفاهة، ويدفعنا إلى الأمام في اتّجاه حركة زراعيّة قويّة.
لكن حتّى تكون هذه الحركة الزّراعيّة قادرة على تكوين طابعها وجب أن يكون لها شعارها العام. هذا الشّعار هو مصادرة أراضي المالكين العقّاريّين.

السّؤال 8. «لماذا من غير الصّحيح إعلان شعار تأليف المجالس في الوقت الحاضر؟
ألا يعرّض الحزب الشّيوعي الصّيني نفسه لخطر السّير وراء الحركة في حال تأليف مجالس العمال في هونان؟»

إلى أي نوع من المجالس يرمي هذا السّؤال؛ هل يرمي إلى المجالس العماليّة، أم إلى المجالس غير العماليّة، مجالس «الفلّاحين»، مجالس «الشّغيلة»، مجالس «الشّعب» ؟

لقد تحدّث لينين في أطروحاته إلى المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني عن تأليف «مجالس الشّغيلة» و «مجالس الفلّاحين» في البلدان الشّرق المتخلّفة. وكان يفكّر في بلدان من قبيل آسيا الوسطى، حيث «لا توجد طبقة عماليّة صناعيّة، أو تقريبا هي كذلك عمليا». كان يفكّر في بلدان من قبيل بلاد فارس، أفغانستان، وما إلى ذلك. وذلك ما يفسّر، في الواقع، لماذا لم تكن في أطروحات لينين ولو كلمة واحدة تتعلّق بتنظيم مجالس العمال في مثل تلك البلدان.

لكن يتّضح من ذلك أنّ ما تحدّثت عنه أطروحات لينين لم يكن يهمّ الصّين التّي لا يمكن أن يقال عنها أنّها لا تمتلك «طبقة عماليّة صناعيّة، أو تقريبا هي كذلك عمليا»، وإنّما يهمّ بلدانا أخرى من الشّرق أكثر تخلّفا.

وبالتّالي، فبما يتعلّق الأمر إذا كانت القضيّة هي تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين فورا في الصّين. وبالتّالي، عندما نتّخذ قرارا في هذه القضيّة لا يجب أن نستحضر أطروحات لينين وإنّما أطروحات روي التّي أقرّها المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني نفسه، والتّي تتحدّث عن تأليف مجالس العمال والفلّاحين في بلدان من قبيل الصّين والهند. لكن تلك الأطروحات تتحدّث عن كيف أنّ تأليف مجالس العمال والفلّاحين في تلك البلدان يجب أن يكون عند الانتقال من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثورة العماليّة.

ما هي مجالس نوّاب العمال والفلّاحين؟

مجالس نوّاب العمال والفلّاحين هي، في المقام الأوّل، أجهزة الانتفاض على السّلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة ثوريّة جديدة، أجهزة السّلطة الثّوريّة الجديدة. وهي، في ذات الوقت، مراكز تنظيم الثّورة.

لكن لا يمكن أن تكون مجالس نوّاب العمال والفلّاحين مراكز تنظيم الثورة إلّا إذا كانت أجهزة لإسقاط السّلطة القائمة وإذا كانت أجهزة للسّلطة الثّوريّة الجديدة.

فإن لم تكن أجهزة للسّلطة الثّوريّة الجديدة، فلا يمكنها أن تكون مراكز لتنظيم الحركة الثّوريّة. وهذا ما ترفض المعارضة فهمه وإذا بها تحارب المفهوم اللينيني لمجالس نوّاب العمال والفلّاحين.

ماذا يعني تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الوقت الحاضر في مجال من مجالات العمل، لنقُل، حكومة وُوهان؟ يعني ذلك خلق ازدواجية السّلطة، وإنشاء أجهزة تمرّد على حكومة وُوهان. هل يجب على الشّيوعييّن الصّينيين الإطاحة بحكومة وُوهان في الوقت الحالي؟ من الواضح أن لا. على العكس من ذلك، يجب أن يعتمدوا عليها ويحوّلوها إلى جهاز كفاح ضدّ تشانغ تسو-لين، ضدّ تشانغ كاي-تشيك، ضدّ المالكين العقاريين والنبلاء، ضدّ الإمبرياليّة.

لكن إذا كان لا يجب على الحزب الشّيوعي في الوقت الحاضر أن يطيح بحكومة وُوهان، فما الذّي يعنيه تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين الآن؟

أحد أمرين:

إمّا تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين فورا من أجل إسقاط حكومة وُوهان، وهو أمر غير صحيح وغير مقبول في الوقت الحاضر؛ أو تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين فورا دون أن يعمل الشّيوعيّون على الإطاحة بحكومة وُوهان، ودون أن تصبح المجالس أجهزة سلطة ثوريّة جديدة، وفي هذه الحالة سوف تنطفئ المجالس وتصبح مدعاة للسّخرية.

وذلك ما كان يحذّر منه لينين دوما عندما كان يتحدث عن تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين.

يقول «سؤالكم» أنّ مجالس عماليّة يجري تأليفها في هونان، وأن الحزب الشّيوعي مهدّد بخطر السّير وراء الحركة إذا لم يتوجّه إلى الجماهير بشعار تأليف المجالس.

هذا هراء، أيّها الرّفاق. لا توجد مجالس نوّاب العمال في هونان في الوقت الحالي. تلك إشاعة نشرتها الصّحافة البريطانيّة. ما لدينا هنالك هم «الرّماة الحمر» ؛ هنالك جمعيات الفلّاحين، لكن ليس هنالك ولو شيء واحد يشير إلى مجالس نوّاب العمال.

يمكن، بطبيعة الحال، تأليف مجالس العمال. فتلك ليست قضيّة صعبة للغاية. لكن المشكل ليس تأليف مجالس العمال؛ بل المشكل هو تحويلها إلى أجهزة سلطة ثوريّة جديدة. فإذا ما تعذّر ذلك، تصبح السوفييتات أمرا فارغا ومدعاة للسّخرية. سوف لن يكون تأليف مجالس

العمال قبل الأوان إلّا حملها إلى الانهيار، وتحويلها إلى أمر فارغ؛ يعني في الواقع المساعدة على تحويل الحزب الشّيوعي الصّيني من زعيم الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى ذيل لجميع أنواع مجرّبي المجالس من «أقصى اليسار».

كروستاليوف، وهو أول رئيس لمجلس نوّاب العمال في سان بطرسبرغ عام 1905، استعجل كذلك ترميم، وبالتّالي، تأليف مجلس نوّاب العمال في صيف عام 1906، معتبرا أن المجالس في حدّ ذاتها تستطيع أن تعكس ميزان القوى الطبقية، بصرف النّظر عن الوضع. ولقد عارض لينين، في ذلك الوقت، كروستاليوف، وقال، في صيف عام 1906، أنّه لا يجب تأليف مجالس نوّاب العمال بعد ذلك، طالما أنّ المؤخّرة (الفلّاحين) لم تلتحق بعدُ بالطليعة (الطبقة العماليّة)، وبالتّالي سيكون تأليف المجالس في ظل تلك الظروف، وكذلك إعلان شعار الانتفاضة محفوفا بالمخاطر وغير مناسب.

لكن نستنتج من هذا، أوّلا، أنه لا يجب أن نبالغ في دور المجالس في حدّ ذاتها. وثانيا، لا يجب أن نتجاهل الظروف المحيطة عند تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين.

هل من الضّروري تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في كلّ الصّين؟

نعم. لقد ذلك ضروري. سيكون من الضروري تأليفها عندما تكون الحكومة الثّوريّة في وُوهان قد قويت والثّورة الزّراعيّة قد تطوّرت، إنّه وقت الانتقال من الثّورة الزّراعيّة، من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة.

سوف يعني تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين إرساء أسس السّلطة السّوفييتية في الصّين. ولكن إرساء أسس السّلطة السّوفييتية سوف يعني إرساء أسس ازدواجية السّلطة وتوجيه المسار نحو استبدال السّلطة الحاليّة لكيومينتانغ وُوهان بالسّلطة السّوفييتية.

وأعتقد أن الوقت لم يحن بعدُ لذلك.

يتحدّث «سؤالكم» عن هيمنة الطبقة العماليّة والحزب الشّيوعي في الصّين.

لكن ما المطلوب من أجل تسهيل دور الطبقة العماليّة الصّينيّة كقائد والهيمنة في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة الحاليّة؟

هذا يتطلب، أوّلا، أن على الحزب الشّيوعي الصّيني أن يكون منظمة قويّة الاتّحاد للطبقة العماليّة، له برنامجه الخاص، أرضيّته الخاصّة، تنظيمه الخاصّ، وخطّه الخاصّ.

وهذا يتطلب، ثانيا، أن على الشّيوعيّن الصّينيين أن يكونوا في الصفوف الأماميّة للحركة الزّراعيّة-الفلاحيّة، وأن يعلّموا الفلّاحين، وبالأخصّ الفلّاحين الفقراء، التّنظّم في جمعيّات ولجان ثوريّة والعمل على مصادرة أراضي المالكين العقّاريّين.

وهذا يتطلب، ثالثا، أن على الشّيوعيّن الصّينيين أن يقوّوا موقعهم في الجيش، وأن يثوّروه، وأن يحوّلوه من أداة للمغامرة الفرديّة إلى أداة للثّورة.

وهذا يتطلب، أخيرا، أن على الشّيوعيّن الصّينيين أن يشاركوا في أجهزة حكومة وُوهان المحليّة والمركزيّة، وفي أجهزة كيومينتانغ وُوهان المحليّة والمركزيّة، وأن ينتهجوا فيهما سياسة حازمة لتوسيع لاحق للثّورة ضدّ المالكين العقّاريّين والإمبرياليّة على حد سواء.

ترى المعارضة أنّ على الحزب الشّيوعي أن يحافظ على استقلاله وأن يقطع علاقاته بالقوى الدّيمقراطيّة الثّوريّة بأن ينسحب من الكيومينتانغ ومن الحكومة في وُوهان. لكن ذلك سيكون نوعا من «الاستقلال» مشكوك فيه من قبيل ذاك الذّي تحدّث عنه المناشفة في بلدنا عام 1905. ونعلم أنّ المناشفة قد عارضوا لينين في ذلك الوقت قائلين: «ما نحتاجه ليس الهيمنة، بل استقلال حزب العمال». لقد كان لينين على صواب عندما رأى في ذلك إنكار للاستقلال، ومعارضة الاستقلال بالهيمنة وأنّ ذلك يعني تحويل الطبقة العماليّة إلى ذيل للبرجوازيّة الليبراليّة.

أعتقد أنّ المعارضة، وهي تتحدّث اليوم عن استقلاليّة الحزب الشّيوعي الصّيني وتستعجل أو تشير إلى ضرورة انسحاب الحزب الشّيوعي الصّيني من الكيومينتانغ ومن حكومة وُوهان، إنّما هي تنزلق إلى الخطّ المناشفة المدافع عن «الاستقلاليّة» في فترة 1905. فلا يستطيع الحزب الشّيوعي أن يحافظ على استقلاليّة حقيقيّة وعن هيمنة حقيقيّة إلّا أصبح القوّة القائدة داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء وفي صفوف الجماهير الشّغيلة الواسعة.

لا ننسحب من الكيومينتانغ بل لنضمن القيادة للحزب الشّيوعي داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء – ذلك ما هو مطلوب من الحزب الشّيوعي الصّيني إذا أراد حقّا أن يكون مستقلّا.

السّؤال 9. «هل من الممكن أن نطرح قضيّة تأليف جيش أحمر نظامي في الصّين في الوقت الحالي؟»

أعتقد أنّه يمكن أن نفكّر في هذه القضيّة من جهة الأفق. أمّا إذا تناولناها من النّاحية العمليّة، فمن غير ممكن الآن، في هذا الوقت، أن نستبدل الجيش الحالي بجيش جديد، بجيش أحمر، لسبب بسيط هو أنّه ليس هنالك بما نستبدله.

الأمر الأساسي الآن، وبينما يجري تحسين الجيش الحالي وتثويره بجميع الوسائل المتاحة، هو وضع أسس الجديد، فرقا وأفواجا، متكوّنة من الفلّاحين الثّوريّين من بين الذّين مرّوا بمدرسة الثّورة الزّراعيّة ومن العمال الثّوريّين، قصد تأليف عدد من الفرق العسكريّة الجديدة والموثوق بها حقّا وقادة يمكن الاعتماد عليهم لتكون درعا للحكومة الثّوريّة في وُوهان.

تلك الفِرق هي نواة الجيش الجديد الذّي سوف يتطوّر لاحقا إلى جيش أحمر.

إنّ ذلك ضروري، على حد سواء، للنّضال في الجبهة، وخصوصا للنّضال في المؤخّرة ضدّ جميع أنواع عناصر الثّورة المضادّة التّي ستنتصب.

بدون ذلك، لا يمكن أن يكون هنالك أيّة ضمانة ضدّ الانقلاب في المؤخّرة وفي الجبهة وضدّ الانسحاب والخيانة.

وأعتقد أن هذا المسار هو الوحيد الممكن والملائم في الوقت الحاضر.

السّؤال 10. «هل شعار مصادرة الشّركات الصّينيّة أمر ممكن الآن، في الوقت الذّي يقوم فيه النّضال ضدّ البرجوازيّة؟ وفي أيّة ظروف تكون مصادرة المصانع الأجنبيّة في الصّين أمرا ممكنا، وماذا سيترتّب على مصادرة الشّركات الصّينيّة في ذات الوقت؟»

أعتقد، عموما، أنّه لم يحن الوقت بعدُ للمرور إلى مصادرة الشّركات الصّينيّة.

لكن لا نستبعد احتمال أن يقوم أرباب العمل الصّينيّون بتخريب عنيد وبإغلاق عدد من هذه المؤسّسات وخلق بطالة اصطناعية قد تجبر حكومة وُوهان على الشّروع في تأميم بعض من هذه الشّركات حتّى في الوقت الحاضر، وتجعلها تسيّر نفسها ذاتيّا.

فمن الممكن أن تجبر حكومة وُوهان حتّى في الوقت الراهن على اتّخاذ مثل هذه الخطوة في حالات مفردة وذلك بمثابة تحذير لأرباب العمل الصّينيّين خاصّة الحاقدين منهم على الثّورة ومعارضين لها.

أما بالنّسبة للشركات الأجنبيّة، فتأميمها قضيّة مستقبليّة. فتأميمها هو بمثابة إعلان الحرب مباشرة على الإمبرياليّة. لكن لنعلن مثل هذه الحرب فذلك يتطلّب ظروفا مختلفة بعض الشّيء، ظروفا ملائمة أكثر ممّا هو موجود في الوقت الحاضر.

أعتقد أنه في المرحلة الحاليّة من الثّورة، وطالما لم نكتسب حتّى الآن القوّة الكافية، فإنّ مثل هذا الإجراء سابق لأوانه ولذلك فهو غير مناسب.

لا تتلخّص المهمة الآن في ذلك، وإنّما في تأجيج نيران الثّورة الزّراعيّة إلى أقصى درجة ممكنة، لضمان هيمنة الطبقة العماليّة في هذه الثّورة، وتقوية وُوهان وتحويلها إلى مركز النّضال ضدّ كلّ أعداء الثّورة الصّينيّة.

يجب على المرء ألا يحمل كافة المهام في آن واحد وإلّا خاطر بانهياره تحت الوطأة. وبالأخصّ، وطالما أنّ الكيومينتانغ وحكومته غيّر مهيّآن لإنجاز مهمات أساسيّة من قبيل مصادرة أملاك البرجوازيّتين الصّينيّة والأجنبيّة.

يتطلّب إنجاز هذه المهمات وضعا مختلفا ومرحلة مختلفة من الثّورة وأجهزة مختلفة من السّلطة الثّوريّة.

صدر لأوّل مرّة باللّغة الرّوسيّة في:

ستالين: الثّورة في الصّين وأخطاء المعارضة، موسكو، لينينغراد، 1927.

الثورة في الصّين ومهمّات الأمميّة الشيوعيّة

خطاب في الجلسة العاشرة من الاجتماع الثّامن الموسّع لتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة، 24 أيّار 1927

1. بعض القضايا الصغيرة

أيّها الرّفاق، أعتذر على حضوري متأخّرا إلى جلسة اليوم لتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة. فلم أستمع، طبعا، إلى كامل الخطاب الذّي تلاه تروتسكي هنا في تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة.

لكن، أعتقد أنّه لا تنقصنا المادة الأدبيّة الضّافية لننقد المعارضة، فقد قدّم تروتسكي في الأيّام الأخيرة إلى تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة أطروحات ورسائل في القضيّة الصّينيّة.
لذا، سيرتكز نقدي لأخطاء تروتسكي على تلك الوثائق، وليس لي شكّ في أنّ ذلك سيكون في ذات الوقت نقدا لأسس الخطاب الذّي تلاه تروتسكي اليوم.
سأسعى قدر الإمكان حتّى تكون الأمور الشّخصيّة بعيدة. فلا ننسى أبدا أنّ تهجّمات تروتسكي وزينوفييف الشّخصيّة كانت بصفتهما عضوين في المكتب السّياسي للجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي وبصفتهما عضوين في مجلس رئاسة الأمميّة الشّيوعيّة.
من البديهي أنّ يحبّذ تروتسكي أن يكون خلال اجتماعات تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة بطلا حتّى يغيّر النّظر في قضيّة خطر الحرب والثّورة الصّينيّة، الخ، إلى النّظر في قضيّة تروتسكي. وأعتقد أنّ تروتسكي لا يستحقّ اعتبارا كبيرا. فهو بمثابة ممثّل أكثر ممّا هو بمثابة بطل. ولا يجب أن نخلط بين الممثّل والبطل.
لن أقول شيئا عن واقع أنّ أشخاصا مثل تروتسكي وزينوفييف، وقد وجدهما الاجتماع السّابع الموسّع على انحراف اشتراكي-ديمقراطي، يقدحان في كلّ ما للبلاشفة من أهميّة. فليس هنالك من تهجّم عند بوخارين أو ستالين. على العكس، سأكون أكثر تهجّما لو أنّ شبه منشفي من رهط تروتسكي أو زينوفييف لم يقدح فيّ وإنّما مدحني.
سوف لن أطيل الحديث في كيف أنّ المعارضة، من خلال إعلانها الحالي ككتلة، قد خرقت ما التزمت به في 16 تشرين الأول 1926. يؤكّد تروتسكي أنّ ذلك الإعلان يخوّل له الحقّ في أنّ يدافع عن وجهة نظره. طبيعي أنّ ذلك صحيح. أمّا أن يسعى تروتسكي بذلك إلى أن يذهب في اعتقادنا أن ذلك كلّ ما ينطوي عليه ذلك الإعلان فلا يمكن أن نسمّي ذلك إلّا سفسطة.

إنّ الإعلان حول المعارضة في 16 تشرين الأوّل لا يتحدّث عن حقّ المعارضة في أن تدافع عن وجهة نظرها فحسب، بل يتحدّث أيضا عن كيف أنّ وجهة النّظر تلك يمكن الحفاظ عليها فقط في الحدود التّي يسمح بها لحزب، وكيف أنّ التكتّل يجب أن يشجب ويوضع له حدّ، وكيف يجب على المعارضة أن «تخضع دون تحفّظ» لإرادة الحزب ولقرارات اللجنة

المركزيّة، وكيف يجب على المعارضة لا أن تخضع لتلك القرارات فحسب، بل أن «تحسن تنفيذها» جيّدا.

فإذا ما أخذنا كلّ ذلك بعين الاعتبار، فهل يلزمنا برهان آخر لنثبت أن المعارضة قد خرقت على نحو فضّ إعلان 16 تشرين الأوّل 1926؟

سوف لن أتوسّع في ما تضمّنته عديد الأطروحات والمقالات والخطابات الرّاجعة إلى المعارضة من تشويه غريب وفضّ لمواقف اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي والأمميّة الشّيوعيّة في القضيّة الصّينيّة.

لا يكفّ تروتسكي وزينوفييف عن الزّعم بأنّ اللجنة المركزيّة والأمميّة الشّيوعيّة قد أيّدتا ولا تزالان تؤيّدان سياسة «مساندة» البرجوازيّة الوطنيّة في الصّين.

نحن في غنى عن البرهنة على أنّ تأكيد تروتسكي وزينزفييف هو فبركة واتّهام وتشويه لا أساس له. ففي الواقع لم تؤكّد اللجنة المركزيّة والأمميّة الشّيوعيّة على سياسة مساندة البرجوازيّة الوطنيّة وإنّما على سياسة استغلال البرجوازيّة الوطنيّة طالما أنّ الثّورة في الصّين هي ثورة كلّ الجبهة الوطنيّة المتّحدة، وقد عوّضتا هذه السّياسة بسياسة النّضال المسلّح ضدّ البرجوازيّة الوطنيّة لمّا أصبحت الثّورة ثورة زراعيّة وشرعت البرجوازيّة الوطنيّة في مغادرة الثّورة.

وحتّى نقتنع بذلك، ليس أمامنا سوى أن ندرس وثائق من قبيل قرار الاجتماع السّابع الموسّع ونداء تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة وأطروحات ستالين للدّعاية وأخيرا أطروحات بوخارين التّي تسلّمها مجلس رئاسة الأمميّة الشّيوعيّة يوم أمس. إنّه لمن تعاسة المعارضة أنّها لا تتصرّف إلّا بالثّرثرة والغرابة.

2. الثورة الفلاحية-الزراعية من جهة أنها قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية

الخطأ الأساسي عند تروتسكي أنّه لا يفهم طابع الثّورة الصّينيّة ومغزاها.
تتبنّى الأمميّة الشّيوعيّة فكرة أنّ بقايا الإقطاع هي عامل أساسي في الاضطهاد في الصّين في الوقت الحاضر، عامل تفجير الثّورة الزّراعيّة. وتعتقد الأمميّة الشّيوعيّة أنّ بقايا الإقطاع في الأرياف الصّينيّة، والتّي ترتكز عليها مجمل البنية الفوقيّة البيروقراطيّة والعسكريّة بما فيها من توشان وحكام وجنرالات من قبيل شانغ تسو-لين وغيرهم، إنّما تمثّل القاعدة التّي اندلعت منها الثّورة الزّراعيّة الحاليّة وهي تجري فيها.
فإذا كان 70 بالمائة من محصول الفلّاحين يذهب إلى المالكين العقّاريّين والنّبلاء، وإذا كان المالكون العقّاريّون، المسلّحون أو غير المسلّحين، يمتلكون لا فقط السّلطة الاقتصاديّة فحسب، بل يمتلكون كذلك السّلطة الإداريّة والقضائيّة، وإذا كان بيع وشراء النّساء والأطفال على طريقة القرون الوسطى لا يزال يطبّق في عدد معيّن من الأقاليم، - لا يمكننا أن لا نقبل بأنّ بقايا الإقطاع هي الشّكل الرّئيسي من أشكال الاضطهاد في الأقاليم الصّينيّة.
ولأنّ بقايا الإقطاع، بكامل بنيتها الفوقيّة البيروقراطيّة والعسكريّة، هي الشّكل الرّئيسي للاضطهاد في الصّين، فإنّ الصّين تمرّ بثورة زراعيّة على قوّة وأهميّة عملاقتين.
وما هي الثّورة الزّراعيّة؟ إنّها بالفعل قاعدة الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة ومحتواها. ولهذا السّبب، على وجه التّحديد، تقول الأمميّة الشّيوعيّة أنّ الصّين تمرّ بثورة ديمقراطيّة برجوازيّة.
لكنّ الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين ليست موجّهة ضدّ بقايا الإقطاع فحسب، فهي موجّهة أيضا ضدّ الإمبرياليّة. لماذا؟ لأنّ الإمبرياليّة، بما لها من كامل القوّة الماليّة والعسكريّة،

هي القوّة التّي تهتمّ ببقايا الإقطاع وتثيرها وتحافظ عليها بالتّعاون مع كامل بنيتها الفوقيّة العسكريّة والبيروقراطيّة.
لأنّه تستحيل الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصّين دون خوض نضال ثوري ضدّ الإمبرياليّة في الصّين في ذات الوقت.
لأنّه يجب على كلّ الذّين يريدون الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصّين، أن يرفعوا أياديهم بالضّرورة في وجه الإمبرياليّة والمجموعات الإمبرياليّة في الصّين.
لأنّ بقايا الإقطاع في الصّين لا يمكن كسرها وإسقاطها دون خوض نضال حاسم ضدّ الإمبرياليّة.
ولهذا السّبب، على وجه التّحديد، تقول الأمميّة الشّيوعيّة أنّ الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين هي ثورة معادية للإمبرياليّة في ذات الوقت.
وهكذا، فالثّورة الحاليّة في الصّين هي جمع لتيّارين من الحركة الثّوريّة؛ الحركة المعادية لبقايا الإقطاع والحركة المعادية للإمبرياليّة. والثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين هي جمع بين النّضال ضدّ بقايا الإقطاع والنّضال ضدّ الإمبرياليّة.
تلك نقطة انطلاق كامل خطّ الأمميّة الشّيوعيّة (وبالتّالي اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي) في قضايا الثّورة الصّينيّة.
وما هي نقطة انطلاق في نظرة تروتسكي إلى القضيّة الصّينيّة؟ إنّها تلك التّي تناقض مباشرة نظرة الأمميّة الشّيوعيّة التّي بسطنا. فتروتسكي إمّا يرفض الاعتراف بوجود بقايا الإقطاع في الصّين رفضا قاطعا وإمّا لا يوليها أهميّة حاسمة. إنّ تروتسكي (وبالتّالي المعارضة) تنتقص من قوّة ومغزى الاضطهاد الإقطاعي والبيروقراطي في الصّين، ويفترض أنّ هدف الثّورة الوطنيّة الصّينيّة الأساسي هو استقلال الصّين استقلالا جمركيا عن البلدان الإمبرياليّة.
واسمحوا لي أن أعتمد على أطروحات تروتسكي التّي قدّمها إلى كلّ من اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي وتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة منذ أيّام، عنوانها «الثّورة الصّينيّة وأطروحات ستالين».
إليكم ما يقوله تروتسكي في تلك الأطروحات:

«من جهة الأساس، لا يمكننا أن ندعم محاولة بوخارين التّي ترمي إلى تبرير خطّ انتهازيته الذّي يشير إلى الدّور الأساسي المزعوم «لبقايا الإقطاع» في الاقتصاد الصّيني. وحتّى إذا ما كان تقييم بوخارين للاقتصاد الصّيني مرتكزا على تحليل اقتصادي لا على مفاهيم مدرسيّة، فلا يمكن حتّى لـ«بقايا الإقطاع» كلّها أن تبرّر السّياسة التّي سهّلت، على نحو جدّ واضح، انقلاب نيسان. الثّورة الصّينيّة لها طابع وطني برجوازي لسبب أساسي هو أنّ تطوّر القوى المنتجة للرأسماليّة الصّينيّة تعرقله حالة التّبعيّة الجمركيّة للبلدان الرّأسماليّة.» (أنظر: تروتسكي: الثّورة الصّينيّة وأطروحات ستالين.)

إنّ قراءة خاطفة لهذا المقتطف يمكنها أن تجعلنا نعتقد أنّ تروتسكي لا يحارب خطّ الأمميّة الشّيوعيّة في قضيّة طابع الثّورة الصّينيّة وإنّما يحارب «السّياسة المساومة» عند بوخارين. طبعا، ذلك غير صحيح. الآن، ما لدينا هو تكذيب لفكرة «الدّور الأساسي» لبقايا الإقطاع في الصّين. ما وقع تأكيده الآن هنا هو أنّ الثّورة الزّراعيّة التّي تتطوّر في الصّين هي ثورة الشّريحة العليا، ثورة معادية للتّبعية الجمركيّة إن صحّ التعبير.

لقد كان الحديث عن «السّياسة المساومة» عند بوخارين هنا ضروريّا عند تروتسكي حتّى يخفي مغادرته خطّ الأمميّة الشّيوعيّة. وأقول دون غموض أنّ زاد تروتسكي هو عادة الغشّ.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ بقايا الإقطاع في الصّين بمجمل ما لها من بنية فوقيّة بيروقراطيّة وعسكريّة ليست من قضايا الثّورة الصّينيّة في الوقت الحالي وإنّما هي عامل ثانوي لا أهميّة له ولا يستحقّ إلّا أن نضعه بين معقوفين.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ «السّبب الأساسي» للثّورة الوطنيّة في الصّين هو التّبعيّة الجمركيّة للإمبرياليّين وأنّ الثّورة في الصّين هي، بسبب ذلك، بالأساس، ثورة معادية للتّبعيّة لجمركيّة.

تلك نقطة الانطلاق في تصوّر تروتسكي.

تلك نظرة تروتسكي لطابع الثّورة الصّينيّة.

واسمحوا لي أن ألاحظ أنّ تلك النّظرة هي ذات النّظرة عند «سعادة» مستشار الدّولة تشانغ تسو-لين.

إذا كانت وجهة نظر تروتسكي صحيحة وجب أن نقبل بأنّ تشانغ تسو-لين وتشانغ كاي-تشيك على حقّ عندما لا يقبلان ثورة زراعيّة أو عماليّة، وأن يبذلا الجهد فقط للإطاحة بالاتّفاقيات الجائرة ولتركيز استقلال جمركي خاصّ بالصّين.
لقد انزلق تروتسكي إلى وجهة نظر موظّفي تشانغ تسو-لين وتشانغ كاي-تشيك.
إذا كان يجب أن نضع بقايا الإقطاع بين معقوفين، وإذا كانت الأمميّة الشّيوعيّة قد أخطأت عندما أعلنت أنّ لبقايا الإقطاع أهميّة أساسيّة في المرحلة الحاليّة من الثّورة، وإذا كانت قاعدة الثّورة الصّينيّة هي التّبعيّة الجمركيّة وليس النّضال ضدّ بقايا الإقطاع والإمبرياليّة التّي تحميها، فما الذّي تبقّى من الثّورة الزّراعيّة في الصّين؟
من أين أتت الثّورة الزّراعيّة في الصّين بمطلبها في تأميم أراضي المالكين العقّاريّين؟ وما الذّي يجعلنا في هذه الحالة نعتبر الثّورة الصّينيّة ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة؟ أليست الثّورة الزّراعيّة هي قاعدة الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة فعلا؟ حقّا، لا يمكن للثّورة الزّراعيّة أن تأتي من السّماء؟
ألم تنخرط الملايين وعشرات الملايين من الفلّاحين في ثورة زراعيّة عملاقة في أقاليم مثل هونان وهو-بي وهينان وغيرها حيث ركّز الفلّاحون سلطتهم الخاصّة ومحاكمهم الخاصّة وأجهزة دفاعهم الذّاتي ومطاردين المالكين ومصفّين حساباتهم معهم «على طريقتهم الشّعبيّة»؟
أكنا سنجد مثل تلك الحركة الزّراعيّة القويّة لو لم يكن الاضطهاد الإقطاعي-العسكري الشّكل الأساسي للاضطهاد في الصّين؟ كيف أمكن لحركة قويّة من عشرات الملايين من الفلّاحين أن تأخذ طابعا معاديا للإمبرياليّة لو أنّنا لم نعترف بأنّ الإمبرياليّة هي الحليف الرّئيسي للإقطاعيّين والعسكريّين مضطهدي الشّعب الصّيني.
ألا تضمّ الجمعيّة الفلاحيّة في هونان وحدها أكثر من مليونين ونصف المليون عضو؟ وكم أصبح منهم في هوبي وفي هينان؟ وكم سيصبح منهم في أقاليم صينيّة أخرى في مستقبل قريب جدّا؟
وماذا نقول عن «الرّماة الحمر» و«جمعيّات شدّ الأحزمة» وغيرها، أمن من الممكن أن تكون نتاج الخيال، وليست واقعا؟

هل يمكننا، بجدّ، أن ندعّم قولا مفاده أنّ الثّورة الزّراعيّة الّتي شملت عشرات الملايين من الفلّاحين تحت شعار تأميم أراضي المالكين العقّاريّين لم تكن موجّهة ضدّ بقايا إقطاعيّة حقيقيّة وحيّة وإنّما ضدّ أشخاص خياليّين بين معقوفين؟

أليس من الطّبيعيّ أن يكون تروتسكي قد انزلق إلى وجهة نظر موظّفي «سعادة» تشانغ تسو-لين؟

وهكذا، لدينا خطّان أساسيّان:

أ. خط الأمميّة الشّيوعيّة، الذّي يأخذ بعين الاعتبار بقايا الإقطاع في الصّين، من جهة أنّها الشّكل الأساسي من أشكال الاضطهاد؛ وما للحركة الزّراعيّة القويّة من أهميّة حاسمة؛ وما لبقايا الإقطاع من صلة بالإمبرياليّة؛ وما للثّورة الصّينيّة من طابع ديمقراطي برجوازي وما لها من مرمي هو النّضال ضدّ الإمبرياليّة؛

ب. خط تروتسكي، الذّي ينفي ما للاضطهاد الإقطاعي-العسكري من أهميّة أساسيّة؛ ولم ينجح في تقدير ما للحركة الزّراعيّة في الصّين من أهميّة حاسمة؛ ويحصر الطّابع المعادي للإمبرياليّة في الثّورة الصّينيّة في حدود مصالح الرّأسماليّة الصّينيّة وهو مطلب استقلال الصّين الجمركي.

إنّ الخطأ الأساسي عند تروتسكي (وبالتّالي عند المعارضة) هو أنّه ينتقص من أهميّة الثّورة الزّراعيّة في الصّين ولا يفهم ما لتلك الثّورة من طابع ديمقراطي برجوازي وينفي وجود الظّروف الموضوعيّة لحركة زراعيّة في الصّين تشمل عدّة ملايين وينتقص من أهميّة دور الفلّاحين في الثّورة الصّينيّة.

وهذا خطأ ليس بالجديد عند تروتسكي؛ فقد كان السّمة الأكثر تميّزا لكامل خطّه خلال كامل مرحلة صراعه ضدّ البُلشفيّة.

الانتقاص من أهميّة دور الفلّاحين في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة هو خطأ تابعه تروتسكي منذ 1905. وقد كان خطأ صارخا على نحو خاصّ قبل ثورة شبّاط 1917، وهو متمسّك به إلى اليوم.

اسمحوا لي أن أشير إلى بعض الوقائع المتّصلة بصراع تروتسكي ضدّ اللينينيّة عشيّة ثورة شبّاط 1917، مثلا، لمّا كنا نتقدّم نحو الانتصار في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في روسيا.

لقد قال تروتسكي وقتئذ أنّه منذ أنّ قوي التّمايز صلب الفلّاحين وأصبحت الإمبرياليّة هي المهيمنة وأصبحت الطبقة العماليّة تعارض الأمّة البرجوازيّة، انحسر دور الفلّاحين ولم تعد للثّورة الزّراعيّة تلك الأهميّة التّي كانت لها عام 1905.
ماذا قال لينين ردّا على ذلك؟ اسمحوا لي أن أقتبس مقتطفا من مقال كتبه لينين عام 1915 في موضوع دور الفلّاحين في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في روسيا:
﴿إنّ هذه النّظريّة (يشير إلى نظريّة «الثّورة الدّائمة» عند تروتسكي - ستالين) التّي يرجع أصلها إلى تروتسكي تستعير من البلاشفة دعوتهم إلى أن تناضل الطبقة العماليّة نضالا حاسما من أجل أن تفتكّ السّلطة السّياسيّة، وتستعير من المناشفة «نفيهم» لدور الفلّاحين. فربّما انقسم الفلّاحون شرائح، وتمايزوا وأصبحوا، شيئا فشيئا، غير قادرين على لعب دور ثوري؛ فثورة «وطنيّة» في روسيا إنّما هي أمر مستحيل. «نحن نعيش عصر الإمبرياليّة» لكن « ليس في الإمبرياليّة تعارضا بين الأمّة البرجوازيّة والنّظام القديم، بل فيها تعارض بين الطبقة العماليّة والأمّة البرجوازيّة».
لدينا هنا مثالا من التّلاعب بكلمة: «إمبرياليّة» يبعث على الضّحك! فلمّا كانت الطبقة العماليّة في روسيا تعارض «الأمّة البرجوازيّة»، فذلك يعني أنّ روسيا على عتبة ثورة اشتراكيّة!! لذا، فشعار «تأميم أراضي المالكين العقّاريّين» (الذّي كرره تروتسكي عام 1915 بعد أن قام بذلك بعد مجلس كانون الثّاني عام 1912) شعار غير صحيح، ويجب علينا أن نتحدّث لا عن «حكومة عماليّة ثوريّة» وإنّما عن «حكومة عماليّة اشتراكيّة»!! إلى أيّ درجة من التّشويش يبلغ تروتسكي في جملته التّي يقول فيها أنّ الطبقة العماليّة ستجرّ معها، أيضا، جماهير النّاس غير العماليّة! (العدد 217). لم يذهب في بال تروتسكي أنّه إذا ما جرّت الطبقة العماليّة معها الجماهير غير العماليّة في البلاد في سبيل تأميم أراضي المالكين العقّاريّين والإطاحة بالأوتوقراطيّة فسيكون ذلك بمثابة إتمام «الثّورة الوطنيّة البرجوازيّة» في روسيا، بمثابة دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة!
إنّ السّنوات العشر، من 1905 إلى 1915، بأكملها، تلك العشريّة العظيمة، برهنت على أنّ هناك خطّان طبقيّان فقط، في الثّورة الرّوسيّة. لقد شدّد تمايز الفلّاحين الصّراع الطبقي صلبهم وأيقظ عديد العناصر الخاملة إلى الحياة السّياسيّة وجعل عمال الرّيف أقرب إلى

عمال المدينة (لم ينفكّ البلاشفة يؤكّدون على تنظيم العمال الزّراعيّين في منظّمات مستقلّة منذ 1906، وأضافوا هذا المطلب في قرار مؤتمر ستوكهولم المنشفي). لكنّ التّناحر فيما بين «الفلّاحين» وماركوف-رومانوف-خوستوف أضحى عظيما وأكثر تطوّرا وأكثر حدّة. إنّ هذه الحقيقة على درجة من البداهة حتّى أنّ آلاف الجمل في العشرات من مقالات تروتسكي في باريس لا تستطيع أن ترفضها. إنّ تروتسكي يقدّم العون في الواقع للسّياسيّين العماليّين اللبراليّين في روسيا الذّين يفهمون من «نفي» دور الفلّاحين رفض دفع الفلّاحين إلى الثّورة. وذلك هو بيت القصيد الآن.﴾ (أنظر: مجلد 18، ص 317-318)

هذه الخاصيّة في لوحة تروتسكي، حيث يرى البرجوازيّة ويرى الطبقة العماليّة ولا يلاحظ الفلّاحين ولا يفهم دورهم في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة، هي بالضّبط الخاصيّة التّي تمثّل الخطأ الأساسي عند المعارضة في القضيّة الصّينيّة، وهي بالضّبط ما يمثّل عند تروتسكي والمعارضة من «شبه المنشفيّة» في قضيّة طابع الثّورة الصّينيّة. وتنساب من هذا الخطأ الأساسي كلّ أخطاء المعارضة الأخرى وكلّ الخلط في تلك الأطروحات في القضيّة الصّينيّة.

3. يمين الكيومينتانغ يذبّح الشيوعيين في نانكين ويسار الكيومينتانغ يحتفظ بتحالفه مع الشيوعيين في ووهان

لنأخذ قضيّة وُوهان على سبيل المثال. إنّ مواقف الأمميّة الشّيوعيّة من الدّور الثّوري لوُوهان معروفة جيّدا وواضحة جيّدا. فمذ شرعت الصّين تجتاز ثورة زراعيّة، ومذ أصبح انتصارُ الثّورة الزّراعيّة انتصارَ الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة وانتصارَ دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الثّوريّة، ومذ أصبحت نانكين مركز الثّورة المضادّة القوميّة ووُوهان مركز الحركة الثّوريّة في الصّين، أصبح من الواجب مساندة كيومينتانغ وُوهان ووجب على الشّيوعيّين أن

يشاركوا في هذا الكيومينتانغ وفي حكومته الثّوريّة شرط أن يضمنوا للطّبقة العماليّة وحزبها الدّور القيادي داخل الكيومينتانغ وخارجه في ذات الوقت.

هل حكومة وُوهان الحاليّة جهاز لدكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة؟ كلّا، ليست ذلك الجهاز في الوقت الحالي، ولا يمكنها أن تكون كذلك قريبا. لكن لها كلّ فرص التّطوّر إلى مثل ذلك الجهاز إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تطوّر الثّورة اللّاحق ونجاحاتها.

ذلك هو موقف الأمميّة الشّيوعيّة.

أمّا طريقة تروتسكي في النّظر فهي مختلفة تماما. فهو لا يعتبر وُوهان مركز الحركة الثّوريّة بل «خُدعة». فلمّا سُؤل تروتسكي ما هو يسار الكيومينتانغ في الوقت الحالي، أجاب: «إنّه ،إلى حدّ الآن، لا شيء أو تقريبا لا شيء».

لنفترض أنّ وُوهان خُدعة. لكن إذا كانت وُوهان خدعة فلماذا لم يؤكّد تروتسكي على نضال حازم ضدّ هذه الخدعة. ومنذ متى كان الشّيوعيّون يساندون الخدع ويشاركون فيها ويكونون في مقدّمتها؟ أليس حقّا أنّ على الشّيوعيّين واجب النّضال ضدّ الخدع؟ أليس حقّا أنّ الشّيوعيّين إذا ما امتنعوا عن النّضال ضدّ الخدع إنّما يعني ذلك أنّهم يخدعون العمال والفلّاحين؟ فلماذا لم يقترح تروتسكي على الشّيوعيّين ضرورة النّضال ضدّ هذه الخدعة بأن ينسحبوا فورا من كيومينتانغ وُوهان ومن حكومة وُوهان؟ لماذا يقترح تروتسكي أن يظلّوا داخل هذه الخدعة لا أن يغادروها؟ أين المنطق في ذلك؟

ألن يكون «منطقا» فجّا إذا ما فسّرناه بواقع أنّ تروتسكي اتّخذ موقفا معاديا تجاه وُوهان وسمّاها خدعة، ثم خاف فتراجع عن استخلاص النتيجة التّي تستوجبها أطروحاته؟

أو لنتناول زينوفييف مثلا. في أطروحاته التّي وزّعت في اجتماع اللجنة المركزيّة للحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي في نيسان من هذا العام حدّد زينوفييف الكيومينتانغ في وُوهان على أنّه من قبيل الحكومة الكماليّة في فترة 1920. لكنّ الحكومة الكماليّة هي حكومة تحارب العمال والفلّاحين وهي حكومة لا وجود للشّيوعيّين فيها ولا يمكنهم أن يكونوا فيها. وأعتقد النتيجة الوحيدة التّي يمكن استخلاصها من ذلك التّحديد هي: نضال حازم ضدّ وُوهان، والإطاحة بحكومة وُوهان.

لكن ذلك ما سيفكّر فيه فقط أناس عاديّون بمنطق عاديّ.

فليس ذلك ما يفكّر فيه زينوفييف. فهو يحدّد حكومة وُوهان في هانكيو على أنّها حكومة كماليّة لكنّه يقترح، في ذات الوقت، أن تحظى تلك الحكومة بالسّند الأكثر حيويّة وأن لا يستقيل الشّيوعيّون منها وأن لا ينسحبوا من كيومينتانغ وُوهان، الخ.

إنّه يقول:

«من الضّروري تقديم المساعدة الأكثر حيويّة وكلّ التّدابير إلى هانكيو وتنظيم المقاومة لصدّ الكافينياكيين. ويجب أن تتركّز الجهود المباشرة المقبلة على وجه التّحديد، على تسهيل التّنظيم في هانكيو وتقويته» (أنظر: أطروحات زينوفييف)

حاولوا أن تفهموا إن كنتم تستطيعون!

قال تروتسكي إنّ وُوهان أي هانكيو خدعة.

ويؤكّد زينوفييف، عكس ذلك، أنّ وُوهان حكومة كماليّة. والخلاصة التّي يجب استنتاجها هي أنّ الخدعة يجب أن تُحارب، أو تخاض معركة للإطاحة بحكومة وُوهان. لكنّ الاثنان، تروتسكي وزينوفييف، يتراجعان عن الخلاصة التّي تنتج عن موقفهما، ويذهب زينوفييف إلى أبعد من ذلك ويقترح تقديم « المساعدة الأكثر حيويّة وكلّ التّدابير إلى هانكيو».

ما كلّ هذا؟ إنّه يبيّن أنّ المعارضة تتخبّط في تناقضات. وفقدت قدرة التّفكير المنطقي وفقدت كلّ معنى للآفاق.

تشوّش في التّفكير وفقدان كلّ معنى للآفاق في قضيّة وُوهان ذلك هو موقف تروتسكي والمعارضة إن أمكن أن نسمّي التّشوّش موقفا.

4. مجالس نواب العمال والفلاحين في الصّين

أو لنأخذ قضيّة مجالس نوّاب العمال والفلّاحين كمثال آخر.

لنا في قضيّة تنظيم السّوفييتات ثلاثة قرارات أقرّها المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني: أطروحات لينين في تأليف مجالس الشّغيلة غير العماليّة والفلّاحين في البلدان المتأخّرة، وأطروحات روي في تأليف مجالس العمال والفلّاحين في بلدان من قبيل الصّين والهند، والأطروحات الخاصّة: «متى وفي أيّة ظروف يمكن تأليف مجالس نوّاب العمال».

تناولت أطروحات لينين تأليف مجالس «الفلّاحين»، مجالس «الشّعب»، مجالس «الشّغيلة غير العماليّة» في بلدان من قبيل تلك التّي في آسيا الوسطى حيث لا توجد تقريبا طبقة عماليّة صناعيّة. ولا تتحدّث أطروحات لينين ولو بكلمة واحدة عن تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في تلك البلدان.

ومن ناحية أخرى، تؤكّد أطروحات لينين على أنّ من أحد الشّروط الجوهريّة في تطوّر وتأليف مجالس «الفلّاحين» ومجالس «الشّعب» في البلدان المتأخّرة هو السّند المباشر للثّورة في هذه البلدان الذّي تقدّمه الطبقة العماليّة في اتّحاد الجمهوريّات السّوفييتيّة الاشتراكيّة. ومن الواضح أنّ تلك الأطروحات لا تتناول الصّين أو الهند - حيث يوجد حدّ أدنى معيّن من طبقة عماليّة صناعيّة وحيث في ظروف معيّنة يكون تأليف مجالس العمال شرط أوّلي لتأليف مجالس الفلّاحين-، بل بلدانا أخرى أكثر تأخّرا مثل الفرس، الخ.

تناولتْ أطروحاتُ روي، أساسا، الصّينَ والهندَ حيث توجد طبقة عماليّة صناعيّة. وتقترح هذه الأطروحات تأليف مجالس العمال والفلّاحين، في وضع معيّن؛ في مرحلة الانتقال من الثّورة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة. ومن الواضح أنّ هذه الأطروحات ترمي إلى الصّين مباشرة.

أمّا الأطروحات الخاصّة التّي أقرّها المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني تحت عنوان «متى وفي أيّة ظروف يمكن تأليف مجالس نوّاب العمال» فتتناول دور مجالس نوّاب العمال على أساس تجربة الثّورات في روسيا وألمانيا. وتؤكّد هذه الأطروحات أنّه «دون ثورة عماليّة، ستتحوّل مجالس العمال إلى مهزلة». ومن الواضح أنّه عندما نتناول قضيّة تأليف فوري لمجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين وجب علينا أن نأخذ هذه الأطروحات الأخيرة بعين الاعتبار أيضا.

كيف نفهم قضيّة التّأليف الفوري لمجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وفي ذات الوقت كلّا من الوضع الحالي في الصّين بما فيه من تجربة كيومينتانغ وُوهان من جهة أنّه مركز الحركة الثّوريّة وتعاليم المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني من خلال أطروحتيه الأخيرتين.

إنّ تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الوقت الحالي في المجال العملي، لنقل حكومة وُوهان، سيكون بمثابة تركيز سلطة مزدوجة ورفع شعار النّضال في سبيل الإطاحة بيسار الكيومينتانغ وإحلال سلطة جديدة سوفييتيّة محلّه في الصّين.

إنّ مجالس نوّاب العمال والفلّاحين هي أجهزة نضال للإطاحة بالسّلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة جديدة. وظهور مجالس نوّاب العمال والفلّاحين لا يمكنه إلّا أن يخلق سلطة مزدوجة، وفي مثل هذه الحالة، لا يمكنه إلّا أن يجعل قضيّة جعل كلّ السّلطة للمجالس مشكلا عويصا.

كيف نفهم ما جرى في روسيا خلال آذار ونيسان وأيّار وحزيران عام 1917؟ لقد كانت وقتئذ الحكومة المؤقّتة التّي تمتلك نصف السّلطة –لكنّها تمتلك في الحقيقة سلطة أكبر لأنّها كانت تحظى بسند من الجيش. وشيئا فشيئا كان إلى جانبها مجالس نوّاب العمال والفلّاحين التّي كانت تمتلك ما يمكننا أن نسمّيه نصف السّلطة رغم أنّها لم تكن سلطة حقيقيّة مثل تلك التّي كانت عند الحكومة المؤقّتة. وكان شعار البلاشفة وقتئذ هو الإطاحة بالحكومة المؤقّتة ونقل كلّ السّلطة إلى مجالس نوّاب العمال والفلّاحين. وما من بُلشفي دخل الحكومة المؤقّتة لأنّه لا يمكنك أن تدخل حكومة وأنت بصدد الإطاحة بها.

هل يمكن القول أنّ الوضع في روسيا في آذار-حزيران عام 1917 مماثل للوضع في الصّين اليوم؟ كلّا، لا يمكن قول ذلك. ذلك أنّ روسيا كانت مقدمة على ثورة عماليّة في ذلك الوقت، في حين أنّ الصّين مقدمة الآن على ثورة برجوازيّة ديمقراطيّة. ذلك أنّ الحكومة المؤقّتة في روسيا في ذلك الوقت كانت حكومة مضادّة للثّورة وإمبرياليّة، في حين أنّ حكومة وُوهان الحاليّة هي حكومة معادية للإمبرياليّة وثوريّة بالمعنى الدّيمقراطي البرجوازي للكلمة.

ما تقترح المعارضة في هذا الموضوع؟

إنّها تقترح تأليفا فوريّا لمجالس نوّاب العمال والفلّاحين والجنود في الصّين كمراكز تنظيميّة للحركة الثّوريّة. لكنّ مجالس نوّاب العمال والفلّاحين ليست فقط مراكز تنظيميّة للحركة الثّوريّة فقط. فهي قبل كلّ شيء وأساسا أجهزة للانتفاضة على السّلطة القائمة، وأجهزة لتركيز سلطة جديدة ثوريّة. فالمعارضة لا تفهم أنّ مجالس نوّاب العمال والفلّاحين لا يمكنها أن تصبح مراكز للحركة الثّوريّة إلّا كأجهزة انتفاضة فقط، وكأجهزة سلطة جديدة فقط. فإن غاب ذلك أضحت مجالس نوّاب العمال خدعة، وملحق للسّلطة القائمة مثلما كان الحال في ألمانيا عام 1918 وفي روسيا في تموز 1917. فهل فهمت المعارضة أنّ تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين في الوقت الحالي سوف يعني تركيز سلطة مزدوجة، مشتركة بين المجالس وحكومة وُوهان، وسيؤدّي ذلك، بالضّرورة وحتما، إلى المطالبة بإسقاط حكومة وُوهان؟

أشكّ بقوّة في أن يكون زينوفييف قد فهم هذا المشكل البسيط. لكنّ تروتسكي فهم ذلك جيّدا. فهو يعلن صراحة في أطروحاته: «إنّ شعار المجالس يعني المطالبة بتركيز أجهزة سلطة ملائمة من خلال نظام انتقالي مزدوج السّلطة.» (أنظر: أطروحات تروتسكي: «الثّورة الصّينيّة وأطروحات ستالين»)

إذن، ينتج عن ذلك، أنّه إذا ما ركزّنا المجالس في الصّين وجب علينا، في ذات الوقت، أن نركّز «نظاما مزدوج السّلطة» وأن نطيح بحكومة وُوهان وأن نألّف سلطة جديدة ثوريّة. ومن البديهي أنّ تروتسكي يعتمد هنا أحداث تاريخ الثّورة الرّوسيّة السّابقة لأكتوبر من عام 1917 أنموذجا. ففي تلك الفترة كان هنالك حقّا سلطة مزدوجة وكنا حقّا نعمل على الإطاحة بالحكومة المؤقّتة.

لكنّي كنت قد قلت أنّ ما من أحد منّا كان قد فكّر في الدّخول في الحكومة المؤقّتة. فلماذا لا يقترح تروتسكي الآن أن ينسحب الشّيوعيّون من الكيومينتانغ ومن حكومة وُوهان؟ كيف يمكنك أن تركّز المجالس، كيف يمكنك أن تركّز نظاما مزدوج السّلطة في ذات الوقت الذّي لا تزال فيه داخل حكومة وُوهان التّي تريد إسقاطها؟ لا تقدّم أطروحات تروتسكي أيّ جواب لهذا السّؤال.

من الواضح أنّ تروتسكي قد أوقع نفسه في متاهات تناقضاته. فقد خلط بين ثورة ديمقراطيّة برجوازيّة وثورة عماليّة. و«نسي» أنّ الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين أبعدُ من أن تكون قد أُنجزت بعدُ، أبعدُ من أن تكون قد انتصرت بعدُ وإنّما هي في أولى مراحل تطوّرها.
ولا يفهم تروتسكي أنّ سحب دعم حكومة وُوهان ورفع شعار ازدواج السّلطة والشّروع في الإطاحة بحكومة وُوهان في الوقت الحالي من خلال تأليف المجالس فورا إنّما يعني تقديم العون المباشر والقوي لتشان كاي-تشيك وتشان تسو-لين.
لقد سُؤلنا كيف فهمنا تأليف مجالس نوّاب العمال في روسيا عام 1905؟
ألم نكن نمرّ وقتئذ بثورة برجوازيّة ديمقراطيّة؟
أوّلا. لم يكن هنالك وقتئذ إلّا مجلسين أحدهما في سان-بيترسبورغ والآخر في موسكو. ووجود مجلسين لا يعني بعدُ تركيز نظام السّلطة السّوفييتيّة في روسيا.
ثانيا. كان مجلسا سان-بيترسبورغ وموسكو في تلك الفترة جهازا انتفاضة على السّلطة القديمة القيصريّة. وذلك يؤكّد مرّة أخرى أنّه لا يمكن النّظر إلى المجالس على أنّها مراكز تنظيم الثّورة، وأنّها لا تكون كذلك إلّا إذا كانت أجهزة للانتفاضة وأجهزة للسّلطة الجديدة.
ثالثا. يبيّن تاريخ مجالس العمال أنّه لا يمكن للمجالس أن توجد وتتطوّر إلّا إذا توفّرت ظروف ملائمة لانتقال مباشر من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة، بالتّالي، إذا ظروف ملائمة للانتقال من السّيطرة البرجوازيّة إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة.
أليس بفعل غياب تلك الظروف الملائمة أنّ مجالسي عمال سان بيترسبورغ وموسكو كانا قد اضمحلّا عام 1905؟ أليس ذلك ما كان لمجالس العمال في ألمانيا عام 1918؟
كان من الممكن أن لا يكون في روسيا عام 1905 مجالس عماليّة لو كان في روسيا في ذلك الوقت منظّمة ثوريّة واسعة مثل يسار الكيومينتانغ في الصّين اليوم. لكن ما كان لمثل تلك المنظّمة أن توجد في روسيا في ذلك الوقت لأنّ عناصر الاضطهاد القومي لم تكن قائمة بين العمال والفلاحين الرّوس؛ فالرّوس أنفسهم كانوا يضطهِدون قوميّات أخرى ولا يمكن أن توجد منظّمة مثل يسار الكيومينتانغ إلّا عندما يكون هنالك اضطهاد قومي من جانب الإمبرياليّين الأجانب الذّي يجذب مجمل العناصر الثّوريّة في البلاد في منظّمة واحدة واسعة.
يجب أن يكون المرء أعمى حتّى لا يرى ما ليسار الكيومينتانغ من دور جهاز نضال ثوري، جهاز الانتفاض على بقايا الإقطاع والإمبرياليّة في الصّين.

لكن ماذا ينتج عن ذلك؟
ينتج عن ذلك أنّ الدّور الذّي يقوم به يسار الكيومينتانغ الآن في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين هو، تقريبا، ذات الدّور الذّي قامت به المجالس العماليّة في الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في روسيا عام 1905.
سيكون شأنا آخر لو أنّ في الصّين لم توجد منظّمة شعبيّة وديمقراطيّة ثوريّة من قبيل يسار الكيومينتانغ. لكن لمّا وجدت مثل تلك المنظّمة الثّوريّة المتميّزة، الملائمة للخصوصيّات التّي تميّز الظّروف الصّينيّة والتّي برهنت على كفاءتها في مواصلة تطوير الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين، سيكون من الغباء وقلّة الحذر أنْ نحطّم تلك المنظّمة التّي تألّفت خلال سنوات، الآن ، حيث ليس للثّورة إلّا أن بدأت ولم تنتصر ولا انتصارها قريب.
لقد استنتج بعض الرّفاق من هذا التّقييم أنّه يمكن استخدام الكيومينتانغ في المستقبل أيضا، خلال الانتقال إلى الثّورة العماليّة، من جهة أنّه الشّكل التّنظيمي الحكومي للدّكتاتوريّة العماليّة. ويعتقدون أنّ في ذلك إمكانيّة انتقال سلمي من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة.
طبعا، إنّ إمكانيّة تطوّر الثّورة تطوّرا سلميّا ليس، بوجه عام، أمرا مستبعدا.
جرى الحديث عندنا أيضا في روسيا في النّصف الأوّل من عام 1917، عن إمكانيّة تطوّر الثّورة تطوّرا سلميّا من خلال المجالس.
لكن، أوّلا، ليس الكيومينتانغ والمجالس ذات الشّيء. فإن أمكن ملائمة الأوّل لعمل تطوير الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة فلا يعني ذلك بالضّرورة أنّ من الممكن أن يلاءم العمل على تطوير الثّورة العماليّة.
ثانيا. لقد اتّضح في الواقع أنّ الانتقال السّلمي إلى الثّورة العماليّة في روسيا عام 1917 أمرا مستبعدا حتّى لو كان ذلك بالمجالس.
ثالثا. إنّ المراكز العماليّة في الصّين قليلة العدد جدّا، وأعداء الثّورة أقوياء وكثيرو العدد، وكلّ تقدّم تحرزه الثّورة وكل ضربة للإمبرياليّة إنّما ذلك بانشقاقات جديدة في الكيومينتانغ وبتقوية جديدة للحزب الشّيوعي الصّيني على حساب هيبة الكيومينتانغ.
أعتقد أنّه يجب استبعاد فكرة تطوّر الثّورة الصّينيّة تطوّرا سلميّا.

أعتقد أنّ مجالس نوّاب العمال والفلّاحين سيكون من الواجب تركيزها في الصّين خلال مرحلة الانتقال من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة. وفي الظّروف الحاليّة يستحيل الانتقال دون مجالس نوّاب العمال والفلّاحين.

من الضّروري قبل كلّ شيء دفع الحركة الزّراعيّة حتّى تتطوّر في كامل الصّين وتقوية حكومة وُوهان ودعمها في النّضال ضدّ النّظام الإقطاعي-البيروقراطي، ومن الضّروري مساعدة وُوهان حتّى تنجز الانتصار على أعداء الثّورة، ومن الضّروري، بالمعنى الواسع والكوني، تطوير الجمعيّات الفلاحيّة ونقّابات العمال وغيرها من المنظّمات الثّوريّة من جهة أنّها الأساس الذّي سترتكز عليه المجالس في المستقبل، ومن الضّروري دفع الحزب الشّيوعي الصّيني حتّى يقوّي من تأثيره في الفلاحين وفي الجيش؛ فقط بعد كلّ ذلك يمكن تركيز مجالس نوّاب العمال والفلّاحين كأجهزة للنّضال في سبيل سلطة الجديدة، كعناصر في سلطة مزدوجة، كعناصر لتحضير الانتقال من الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة.

ليس تركيز المجالس العماليّة في الصّين موضوع كلام أجوف أو خطابة «ثوريّة» جوفاء. ولا يمكن أن تقدّر هذه القضيّة باستخفاف مثلما يفعل تروتسكي.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلّاحين يعني، أوّلا، الانسحاب من الكيومينتانغ؛ لأنّك لا تستطيع أن تركّز مجالسا وأن تبشّر بسلطة مزدوجة من خلال دعوة العمال والفلّاحين إلى أن يركّزوا سلطة جديدة في ذات الوقت الذّي تكون فيه داخل الكيومينتانغ وحكومته.

وتركيز مجالس نوّاب العمال يعني، أيضا، أن نعوّض التكتّل الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتّل من خارجه، تكتّلا يشبه لذاك الذّي كان بين البلاشفة ويسار الاشتراكيين الثّوريّين في أكتوبر 1917.

لماذا؟ لأنّه إذا ما تعلّق الأمر بثورة ديمقراطيّة برجوازيّة كانت القضيّة تركيزَ دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة وسياسةَ توافقها تماما قوامها التكتّل في الكيومينتانغ. أمّا إذا ما تعلّق الأمر بتأليف المجالس والانتقال إلى الثّورة العماليّة فستكون القضيّة تركيزَ الدّكتاتوريّة العماليّة، تركيزَ سلطة المجالس؛ فلا يمكن أن تُحضَّر هذه السّلطة وتُركّز إلّا بقيادة حزب واحد: الحزب الشّيوعي.

بالإضافة إلى ذلك، يترتّب على مجالس نوّاب العمال واجبات. يجني العامل الصّيني اليوم ما بين 8 و15 روبلا في الشّهر. ويعيش في ظروف لا تطاق. وهو مرهق جدّا بطول مدّة

العمل. وهذا الوضع يجب، ومن الممكن، إنهاءه فورا برفع الأجور وبتطبيق يوم عمل من ثمان ساعات وتحسين ظروف سكن الطبقة العماليّة، الخ.

لكن عندما تكون هنالك مجالس نوّاب العمال سوف لن يرضى العمال بذلك. وسيقولون للشّيوعيّين (وهم على حقّ): بما أنّه أصبح لدينا مجالس وبما أنّ هذه المجالس هي أجهزة السّلطة فلما لا نُغير قليلا على البرجوازيّين فنجرّدهم «القليل» مما يملكون؟ سيكون الشّيوعيّون فارغي الأيدي إذا لم يجرّدوا البرجوازيّة من ملكيّتها في الوقت الذّي توجد فيه مجالس نوّاب العمال والفلّاحين.

لكن القضيّة التّي أمامنا هي هل نطبّق ذلك الآن في المرحلة الحاليّة من الثّورة؟

كلّا، لا يجب علينا ذلك.

هل يمكننا، وهل يجب علينا أن نمسك عن تجريد البرجوازيّة من ملكيتها في المستقبل لمّا يكون هنالك مجالس نوّاب العمال والفلّاحين؟ لا. لكن الذّي يفكّر في أنّه وإذا ما كانت الحالة تلك سنحافظ على التّكتّل داخل الكيومينتانغ، فإنّما هو يعمل في ضلال الأوهام ولا يفهم مجرى صراع القوى الطّبقيّة في مرحلة الانتقال من الثّورة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة.

على هذا النّحو تطرح قضيّة تركيز مجالس نوّاب العمال والفلّاحين في الصّين.

وكما ترون، ليس الأمر في غاية البساطة مثلما يدّعي أناس نيّري الفكر أمثال تروتسكي وزينوفييف.

هل، بوجه عامّ، يُسمح للماركسي، من النّاحية المبدئيّة، أن يقف إلى جانب البرجوازيّة الثّوريّة وأن يتعاون معها في إطار حزب ديمقراطي ثوري مشترك أو في حكومة ديمقراطيّة ثوريّة مشتركة؟

يعتقد بعض الانتهازيّين أنّ ذلك غير مسموح به. لكنّ تاريخ الماركسيّة يقول لنا أنّ ذلك مسموح به تماما في بعض الظّروف ولفترة معيّنة.

يمكنني أن أشير، كمثال، إلى ماركس بخصوص ألمانيا عام 1848، حين كانت الثّورة ضدّ الحكم المطلق الألماني، وحيث التحق ماركس ورفاقه بالرّابطة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في الرّينان، وكان ماركس محرّر المجلّة الرّينانيّة الجديدة لسان حال ذلك الحزب الدّيمقراطي الثّوري.

لقد انضمّ ماركس إلى هذه الرّابطة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة ليستغلّ البرجوازيّة الثّوريّة لكنّه نقد ورفاقه، بكلّ جرأة، خجل حلفاءه على اليمين. كذلك الحال عند الحزب الشّيوعي الصّيني، فهو ينضمّ إلى الكيومينتانغ ويجب أن ينقد بقوّة تردّد وخجل حلفاءه في يسار الكيومينتانغ.
نحن نعلم أنّ ماركس ورفاقه قد غادروا تلك البطولة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة فقط في ربيع عام 1849، ليشرعوا في تأليف منظّمة مستقلّة للطبقة العماليّة ذات سياسة طبقيّة تامّة الاستقلال.
كما ترون، لقد ذهب ماركس أبعد ممّا ذهب إليه الحزب الشّيوعي الصّيني الذّي هو حزب مستقلّ للطبقة العماليّة داخل الكيومينتانغ.
من الممكن معرفة ما إذا كان من المناسب لماركس ورفاقه أن ينضمّوا إلى تلك الرّابطة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة عام 1848. فمثلا، رأت روزا لكسمبورغ أنّه كان على ماركس ألّا ينضمّ إليها. تلك قضيّة تكتيكيّة. لكن أن يكون ماركس وأنجلس قد أوليا اهتماما، من النّاحيّة المبدئيّة، إلى إمكانيّة وفرص الانضمام إلى حزب ديمقراطي برجوازي في إحدى مراحل الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في بعض الظّروف ولفترة معيّنة فذلك أمر لا شكّ فيه. أمّا إذا كنا نريد أن نعرف ما إذا كان على الماركسيّين أن يشاركوا وينسّقوا مع البرجوازيّة الثّوريّة في ظروف محدّدة وفي وضع بعينه فلدينا لذلك مواقف الماركسيّين مثل أنجلس ولينين. ونعلم أنّ أنجلس، في كراسه «الباكونيّون في العمل»، تحدّث في صالح مثل تلك المشاركة. ونعلم أنّ لينين، عام 1905، قال كذلك أنّ تلك المشاركة في الحكومة الدّيمقراطيّة الثّوريّة البرجوازيّة مقبولة.

5. خطان

نعم، أمامنا خطان مختلفان في القضيّة الصّينيّة تمام الاختلاف: خط الأمميّة الشّيوعيّة وخط تروتسكي وزينوفييف.
خط الأمميّة الشّيوعيّة. الأساسي في الحياة الصّينيّة في الصّين اليوم هو بقايا الإقطاع والبنية الفوقية البيروقراطية العسكرية المرتكزة عليها والتّي تتلقى كامل الدّعم من إمبرياليي كل

البلدان. لذا تمرّ الصّين حاليّا بثورة زراعيّة موجّهة ضدّ بقايا الإقطاع والإمبرياليّة في ذات الوقت. وتمثّل الثّورة الزّراعيّة في الصّين قاعدة الثّورة الدّيمقراطية البرجوازيّة ومحتواها. ويمثّل كيومينتانغ وُوهان وحكومته مركز الحركة الدّيمقراطيّة الثّوريّة البرجوازيّة. أمّا نانكين وحكومتها فتمثّلان مركز الثّورة المضادّة القوميّة.

إنّ سياسة دعم وُوهان هي في ذات الوقت سياسة تطوير الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة بكلّ ما ينجرّ عنها. فكانت مشاركة الشّيوعيّين في كلّ من كيومينتانغ وُوهان وحكومة وُوهان لا تلغي، بل تفترض، أن ينتقد الشّيوعيّون ما لحلفائهم في الكيومينتانغ من خجل وتردّد.

يجب على الشّيوعيّين أن يستغلوا هذه المشاركة حتى يسهلوا دور هيمنة الطبقة العماليّة الصّينيّة في الثّورة الدّيمقراطية البرجوازيّة وتعجيل لحظة الانتقال إلى الثّورة العماليّة.

عندما تقترب لحظة انتصار الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة انتصارا تامّا، وعندما يصبح طريق الانتقال إلى الثّورة العماليّة واضحا خلال مجرى الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة، عندئذ يكون الوقت قد حان لضرورة تركيز مجالس نوّاب العمال والفلّاحين والجنود كعناصر سلطة مزدوجة؛ كأجهزة نضال في سبيل السّلطة الجديدة، كأجهزة للسّلطة السّوفييتيّة الجديدة.

يجب على الشّيوعيّين، عندما يحين ذلك الوقت، أن يعوّضوا التّكتّل داخل الكيومينتانغ بتكتّل آخر خارج الكيومينتانغ، ويجب على الحزب الشّيوعي الصّيني أن يصبح القائد الوحيد في الثّورة الجديدة في الصّين.

أما أن نقترح الآن، مثلما فعل تروتسكي وزينوفييف، تأليف مجالس نوّاب العمال والفلّاحين فورا، وأن نركّز الآن سلطة مزدوجة فورا في حين لا تزال الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في أولى مراحل تطوّرها ولا يزال الكيومينتانغ يمثّل الشّكل التنظيمي للثّورة الدّيمقراطيّة الوطنيّة الأكثر ملائمة والأكثر مطابقة للخصوصيّات المميّزة للصّين، إنّما سيكون ذلك تفكّكا في الحركة الثّوريّة وإضعافا لوُوهان وتسهيلا لسقوطها وتقديما للعون إلى تشان كاي-تشيك.

خط تروتسكي وزينوفييف. بقايا الإقطاع في الصّين هي نتاج مخيّلة بوخارين، فلا وجود لها في الصّين أبدا، أو هي على ضعف إلى حدّ أنّه لا يمكن أن تكون بعض أهميّة جدّية. ويبدو أنّ ما من ثورة زراعيّة في الوقت الحالي في الصّين. لكن من أين قدمت؟ لا يعلم ذلك إلّا الشيطان (ضحك).

لكن هناك تلك الثّورة الزّراعيّة. ويجب أخذها بالحسبان على نحو معين.

والأمر الأساسي في السّاعة الرّاهنة ليس الثّورة الزّراعيّة بل ثورة في سبيل استقلال الصّين الجمركي، ثورة ضدّ التّبعيّة الجمركيّة إن أمكن أن نقول ذلك.

كيومينتانغ وُوهان وحكومة وُوهان هما خدعة (تروتسكي) أو كماليّة (زينوفييف).

فمن جهة أولى، يجب تركيز سلطة مزدوجة للإطاحة بحكومة وُوهان عبر تأليف المجالس فورا (تروتسكي). ومن جهة ثانية، يجب تقوية حكومة وُوهان ويجب أن نقدّم له السّند الأكثر حيويّة عبر تأليف المجالس فورا على ما يبدو أيضا.

يجب على الشّيوعيّين، حقّا، أن ينسحبوا فورا من هذه «الخدعة»؛ من حكومة وُوهان وكيومينتانغ وُوهان. لكن ورغم ذلك سيكون من الأنسب إذا ما بقوا في هذه «الخدعة»؛ في حكومة وُوهان وكيومينتانغ وُوهان. لكن لماذا يجب عليهم أن يبقوا في وُوهان إذا ما كانت وُوهان «خدعة» - لا يعلم ذلك إلّا الله. وكلّ من لم يوافق على ذلك هو متهاون وخائن.

ذلك هو ما يسمّى بخط تروتسكي وزينوفييف.

إنّه يصعب تخيّل خطّا أكثر فجاجة وتشوّشا من هذا الخط.

يظهر أنّنا نواجه لا ماركسيّين بل رهطا من البيروقراطيّين لا صلة لهم بالحياة، أو بالأحرى سيّاح «ثوريّون» كانوا منشغلين بالتّجوّل في سوكهوم (Sukhum) وكيسلوفودسك (Kislovodsk) وما شابهها من المناطق، في الوقت الذّي كان فيه الاجتماع السّابع الموسّع لتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة يحدّد الموقف الأساسي من الثّورة الصّينيّة، ليعلموا فيما بعد، عبر الجرائد، أنّ شيئا ما قد حصل من قبيل ثورة في الصّين –هل كانت ثورة زراعيّة أم ثورة معادية للتّبعيّة الجمركيّة، فذلك غير واضح-، ورأوا أنّ من الضّروري أن يألّفوا حزمة من الأطروحات، بعضها الأول في نيسان وبعضها الثّاني في بداية أيّار وبعضها الآخر في آخر أيّار، وإذ فرغوا منها أمطروا بها تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة ذاهبا في اعتقادهم أنّ ذلك الكم الكبير من الأطروحات المشوّشة والمتناقضة سيكون أحسن وسيلة لإنقاذ الثّورة الصّينيّة.

أيّها الرّفاق، ذانك هما الخطّان في الثّورة الصّينيّة.

ولكم الخيار.

أيّها الرّفاق، أختم خطابي:

أريد أن أقول بعض الكلمات، في الختام، في المغزى السّياسي والأهميّة للإعلان الانقسامي الذّي قدّمته تروتسكي وزينوفييف في الوقت الحالي. إنّهما يحتجّان على كونهما ليس لهما الحريّة الكافية ليمارسا ما يحلو لهما من خروقات وتشويهات لا سابق لها داخل الأمميّة الشّيوعيّة والحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي. فما يريدانه، أساسا، هو حريّة العمل على تفكيك الأمميّة الشّيوعيّة والحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي، ما يريدانه، أساسا، هو أن يزرعا تقاليد ماسلو وجماعته داخل الأمميّة الشّيوعيّة والحزب الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي.

أيّها الرّفاق، يجب أن أقول أن تروتسكي اختار لحظة غير مناسبة لتهجّماته على الحزب والأمميّة الشّيوعيّة. لقد بلغني خبر مفاده أن حكومة المحافظين البريطانيّة قد قرّرت قطع علاقاتها باتّحاد الجمهوريّات السّوفييتيّة الاشتراكية. وليس هنالك من حاجة حتّى نبرهن على أنّ ذلك ستتبعه حملة عالمية على الشّيوعيّين، فتلك الحملة قد بدأت فعلا. فالبعضُ يهدّد الحزبَ الشّيوعي البُلشفي في الاتّحاد السّوفييتي بالحرب والتّدخّل، والبعضُ الآخر يهدّده بالانشقاق. لقد بدأ يتشكّل شيء من قبيل الجبهة المتّحدة من تشامبرلين حتّى تروتسكي.

قد يكون ذلك لإخافتنا. لكن لسنا في حاجة حتّى نبرهن على أنّ البلاشفة ليسوا من النّوع الذّي يخاف. لقد شهد تاريخ البُلشفيّة العديد من تلك «الجبهات». وبيّن تاريخ البُلشفيّة أنّ تلك «الجبهات» قد حطّمها ما كان للبلاشفة من تصميم ثوري وشجاعة عليا.

يجب ألّا يساوركم الشكّ في أنّنا سنحطّم هذه «الجبهة» الجديدة أيضا.

نشر لأوّل مرّة باللّغة الرّوسيّة في:

البُلشفي، عدد 10، 31 أيّار 1927.

ملاحظات في مواضيع راهنة

28 تموز 1927

2. الصين

يمكننا الآن وقد دخلت الثّورة الصّينيّة طورا جديدا من التطوّر أن نقيّم الطريق الذّي سلكته ونتحقّق من خطّ الأمميّة الشّيوعيّة في الصّين.

ثمّة جملة من المبادئ التّكتيكية اللينينيّة إذا لم ننظر فيها استحالت قيادة صحيحة للثّورة، واستحال تحقّق صحيح من خطّ الأمميّة الشّيوعيّة في الصّين. فقد نسي أنصار المعارضة تلك المبادئ منذ زمن بعيد. ولأنّها تحديدا تشتكي فقرا بات من الضّروري أن نذكّر بتلك المبادئ التّكتيكية مرارا وتكرارا.

إليكم المبادئ التّكتيكية اللينينيّة:

- المبدأ الذّي يقضي أن نأخذ ما يوجد من متميّز وخاصّ قوميّا في كلّ بلد بمفرده بعين الاعتبار وجوبا عندما نصوغ تعاليم الأمميّة الشّيوعيّة للحركة العماليّة في تلك البلدان.
- المبدأ الذّي يقضي أن يستغلّ الحزب الشّيوعي في كلّ بلد حتّى أقلّ إمكانيّة ليضمن للطبقة العماليّة حليفا جماهيريّا ولو كان حليفا مؤقّتا وغير ثابت وهشّا وغير موثوق.
- المبدأ الذّي يقضي أن نتمسّك بحقيقة أنّ الدّعاية والتّحريض لا يكفيان لتربية الجماهير الغفيرة تربية سياسيّة؛ فمن اللاّزم أن تقوم الجماهير بتجربتها السّياسيّة الخاصّة بها.

أعتقد أنّنا إذا لم نأخذ هذه المبادئ التّكتيكية اللينينيّة بعين الاعتبار استحال علينا الشّروع في تفحّص خطّ الأمميّة الشّيوعيّة في الثّورة الصّينيّة تفحّصا ماركسيّا.

رغم التطوّر الإيديولوجي يوجد بيننا، في صفوف حزبنا، ضرب من «القادة» يعتقدون بكلّ ثقة أنّ من الممكن قيادة الثّورة في الصّين بتلغراف أساسه الأطروحات العامّة للأمميّة الشّيوعيّة، تلك الأطروحات التّي يعرفها الجميع وصادق عليه الجميع، دون أن نأخذ المميّزات القوميّة في الاقتصاد الصّيني وفي الثّقافة الصّينيّة، وفي العادات والتّقاليد الصّينيّة بعين الاعتبار. فهؤلاء «القادة» يختلفون، على وجه التّحديد، عن القادة الحقيقيّين بأنّ لهم في جيوبهم صيغتان أو ثلاث صيغ جاهزة و«صالحة» لجميع البلدان، و«ضروريّة» في جميع الظروف. فلا توجد عندهم أبدا قضيّة علاقة الأطروحات العامّة للأمميّة الشّيوعيّة بالمميّزات القوميّة عند الحركة الثّوريّة في كلّ بلد، وتطويع الأطروحات العامّة للأمميّة الشّيوعيّة للمميّزات القوميّة والسّياسيّة في مختلف البلدان.

إنّهم لا يفهمون أنّه الآن وقد عظمت الأحزاب الشّيوعيّة وباتت أحزابا جماهيريّة، أصبحت المهمّة الرّئيسيّة عند القيادة هي أن تكتشف وتقف على المميّزات القوميّة عند الحركة في

كلّ بلد، فتربطها بحنكة بالأطروحات العامّة للأمميّة الشّيوعيّة حتّى يسهل تطبيق وتحقيق الأهداف الرّئيسيّة عند الحركة الشّيوعيّة.

ومن هنا كانت محاولة خلق قوالب توجيهيّة لكلّ البلدان، وكانت محاولة غرس بضع صيغ عامّة غرسا آليّا دون أخذ الظروف الملموسة عند الحركة في كلّ بلد بعين الاعتبار؛ فقام تصادم أزلي بين الصّيغ والحركة الثّوريّة في مختلف البلدان كنتيجة جوهريّة عند قيادة أولئك القادة التّعساء.

ينتمي أنصار المعارضة عندنا إلى هذا الصّنف من القادة التّعساء على وجه التّحديد.

علمت المعارضة أنّ ثورة برجوازيّة تجري في الصّين، وتعلم أيضا أن الثّورة البرجوازيّة في روسيا كانت موجّهة ضدّ البرجوازيّة؛ فإذا بصيغة جاهزة للصّين: ليسقط كلّ عمل مشترك مع البرجوازيّة. وليعش انسحاب الشّيوعيّين الفوري من الكيومينتانغ (نيسان 1926).

لكن، نسيت المعارضة أنّه على خلاف روسيا في عام 1905، فإنّ الصّين بلد شبه مستعمَر تضطهده الإمبرياليّة؛ ولهذا السّبب باتت ثورة الصّين لا مجرّد ثورة برجوازيّة بل ثورة برجوازيّة من النّوع المعادي للإمبرياليّة. فبسبب كون الإمبرياليّة في الصّين تضع بين يديها الأساسي من عناصر الصّناعة والتّجارة والنّقل، وبسبب كون نير الإمبرياليّة مسلّط لا فقط على الجماهير الشّغيلة في الصّين بل هو مسلّط أيضا على بعض الفئات من البرجوازيّة الصّينيّة؛ فيمكن، إذن، أن تدافع البرجوازيّة الصّينيّة عن الثّورة الصّينيّة في ظروف محدّدة لزمن محدّد. ذلك ما حدث كما نعلم. فإذا ما تناولنا من الثّورة الصّينيّة فترة كانتون؛ زمن بلوغ الجيوش الوطنيّة نهر يانغ-تسي-كيانغ وهي الفترة التّي سبقت انشقاق الكيومينتانغ، لن يكون بإمكاننا أن ننكر دفاع البرجوازيّة الوطنيّة عن الثّورة في الصّين. وأنّه قد اتّضح أنّ خطّ الأمميّة الشّيوعيّة القاضي بقبول عمل مشترك مع تلك البرجوازيّة زمنا محدّدا في ظروف محدّدة كان مطلق الصحّة.

النتيجة: تخلّت المعارضة عن صيغها القديمة وأعلنت صيغا أخرى «جديدة» مفادها أنّ العمل المشترك مع البرجوازيّة الصّينيّة ضروري، فلا يجب أن ينسحب الشّيوعيون من الكيومينتانغ (نيسان 1927).

كان ذلك أول عقاب يسلّط على المعارضة لرفضها أخذ المميّزات القوميّة في الثّورة الصّينيّة بعين الاعتبار.

علمت المعارضة أن حكومة بيكين تخاصم ممثلي الدّول الإمبرياليّة في الاستقلال الجمركي في الصّين. وتعلم المعارضة أن الاستقلال الجمركي ضروري قبل كلّ شيء للرّأسماليّين الصّينيّين. وإذا بصيغة جاهزة تماما: الثّورة الصّينيّة ثورة وطنيّة معادية للإمبرياليّة هدفها الرئيسي كسب استقلال الصّين الجمركي.

لكن نسيت المعارضة أنّ قوة الإمبرياليّة في الصّين لا تكمن في الحواجز الجمركيّة بل خصوصا فيما تمتلكه في الصّين من مصانع ومعامل ومناجم وسكك حديدية وبواخر وبنوك ومؤسّسات تجارية تمتصّ دم عدد عظيم من عمال الصّين وفلاّحيها.

لقد نسيت المعارضة أنّ النّضال الثّوري الذّي يخوضه الشّعب الصّيني ضدّ الإمبرياليّة يُفسَّرُ، قبل كلّ شيء، وعلى الأخصّ، بكون الإمبرياليّة في الصّين هي القوّة التّي تُسند المستغِلّين المباشرين للشّعب الصّيني – إقطاعيون، عسكريون، رأسماليون، بيروقراطيون، الخ-، وبكون العمال والفلّاحين الصّينيّين لن يستطيعوا الانتصار على مستغِلّيهم إذا لم يخوضوا، في ذات الوقت، نضالا ثوريا ضدّ الإمبرياليّة.

تنسى المعارضة أنّ هذه الحالة تحديدا هي أحد العوامل الجوهرية التّي تمكّن من تحويل الثّورة البرجوازيّة ثورة اشتراكية في الصّين.

تنسى المعارضة أنّ من يجد في الثّورة الصّينيّة المعادية للإمبرياليّة ثورةً من أجل الاستقلال الجمركي إنّما هو ينفي إمكان تحويل الثّورة البرجوازيّة في الصّين ثورةً اشتراكية لأنّه يسلّم الثّورة الصّينيّة إلى قيادة البرجوازيّة الصّينيّة.

والحقّ أنّ الوقائع بيّنت، فيما بعد، أنّ الاستقلال الجمركي هو من جهة الأساس أرضيّة البرجوازيّة الصّينيّة؛ فحتّى أولئك الرّجعيّون الكبار أمثال تشانغ تسو-لين وتشانغ كاي-تشاك يتشدّدون اليوم في إلغاء المعاهدات الجائرة وإرساء استقلال الصّين الجمركي.

وهنا كانت ازدواجيّة المعارضة: محاولتها تجنّب صيغتها الخاصّة المتعلّقة بالاستقلال الجمركي؛ ومحاولة نفيها بالكتمان والالتحاق بموقف الأمميّة الشّيوعيّة المتعلّق بإمكان تحويل الثّورة البرجوازيّة في الصّين ثورةً اشتراكية.

كان ذلك ثاني عقاب سلّط على المعارضة لرفضها درس المميّزات القوميّة في الثّورة الصّينيّة درسا جيّدا.

علمت المعارضة أنّ البرجوازيّة التّجاريّة تسلّلت إلى الرّيف الصّيني وأجّرت الفلّاحين الفقراء الأرضَ. وتعلم المعارضة أنّ التّاجر ليس إقطاعيّا. فإذا بصيغة جاهزة تماما: لا أهميّة جدّية في بقايا الإقطاع، وبالتّالي في نضال الفلّاحين ضدّ مخلّفات الإقطاع من جهة الثّورة الصّينيّة؛ فالرّئيسي اليوم في الصّين ليس الثّورة الزّراعيّة بل هو التّبعيّة السّياسيّة-الجمركيّة للبلدان الإمبرياليّة.

لكنّ المعارضة لا ترى أنّ أصالة الاقتصاد الصّيني لا في تسلّل رأس المال التّجاري إلى الرّيف وإنّما في كون هيمنة مخلّفات الإقطاع تندمج بوجود رأس المال التّجاري في الرّيف الصّيني مع الحفاظ على استغلال واضطهاد الفلّاحين بالطرق الإقطاعيّة من القرون الوسطى.

لا تفهم المعارضة أنّ الآلة العسكريّة والبيروقراطيّة في صين أيّامنا، تلك الآلة التّي تنهب وتضطهد الفلّاحين الصّينيّين بوحشيّة، هي بالأساس بنية فوقيّة سياسيّة ترتفع على نظام تمتزج فيه هيمنة بقايا طرق الاستغلال الإقطاعي بوجود رأس المال البضاعي في الرّيف.

والحقّ أن الوقائع بيّنت، فيما بعد، أنّ ثورة زراعيّة عظيمة قد اندلعت في الصّين؛ ثورة موجّهة، قبل كلّ شيء، وعلى الأخصّ، ضدّ الإقطاعيين في الصّين كبارا وصغارا.

وبيّنت الوقائع أن هذه الثّورة قد جرّت عشرات الملايين من الفلّاحين وأنها تمتدّ لتشمل كامل الصّين.

لقد بيّنت الوقائع أنّ الإقطاعيين الحقيقيّين والأحياء ليسوا موجودون فحسب بل يمسكون بالسّلطة في جملة كاملة من المحافظات، ويفرضون إرادتهم على قيادة الجيش، ويخضعون قيادة الكيومينتانغ لتأثيرهم، ويسدّدون للثّورة الصّينيّة الضربة تلو الضربة.

إنّ من ينفي بعد ذلك وجود بقايا الإقطاع ونظام الاستغلال الإقطاعي من جهة أنّه الشّكل الرّئيسي للاضطهاد في الرّيف الصّيني، إنّما هو لا يعترف بعد ذلك بأن الثّورة الزّراعيّة هي واقع جوهري في الحركة الثّوريّة الصّينيّة في الوقت الحالي. وما كلّ ذلك سوى سير عكس الوقائع البديهيّة.

لذا، تخلّت المعارضة عن صيغتها القديمة المتعلّقة ببقايا الإقطاع والثّورة الزّراعيّة. ولهذا السبب تبحث المعارضة عن التّخلي عن صيغتها القديمة بتكتّم وقبول مواقف الأمميّة الشّيوعيّة ضمنيّا.

كان ذلك ثالث عقاب يسلّط على المعارضة لرفضها أن تأخذ المميّزات القوميّة في اقتصاد الصّين بعين الاعتبار.

الخ، الخ،...

تناقض بين الصيغ والوقائع ذلك ما يقف عليه أولئك القادة التّعساء.

ينتج ذلك التناقض مباشرة من رفض المعارضة المبدأ التّكتيكي اللينيني المعروف جيّدا والذّي يقضي بأن نأخذ ما يوجد من مميّز قوميّا وخاصّ قوميّا في الحركة الثّوريّة في كلّ بلد مفرد بعين الاعتبار.

إليكم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ:

«المهمّ اليوم هو أنْ يعي الشّيوعيون في كلّ بلد وعيا تاما، من جهة أولى بالأهداف الأساسيّة –أهداف مبدئيّة- في النّضال ضدّ الانتهازيّة والعقائديّة «اليساريّة»، ومن جهة ثانية بالخصائص الملموسة التّي يتّخذها هذا النّضال والتّي لا بدّ أن يتّخذها في كلّ بلد مفرد، وفقا للخصائص المميّزة التّي تسم اقتصاده وسياسته وثقافته وتركيبه القومي (ايرلندا وغيرها) ومستعمراته وطوائفه الدّينيّة وغير ذلك. ففي كلّ مكان نلمس اتّساع عدم الرضا بالأمميّة الثّانية وتعاظمه، أكان ذلك بسبب انتهازيتها أم بسبب عجزها عن خلق منظّمة ممركزة حقّا بمثابة مركز قيادي كفء لتوجيه تكتيك الطبقة العماليّة الثّوريّة العالمي في نضالها في سبيل جمهورية سوفييتيّة عالميّة. يجب أن ندرك بوضوح أنّه لا يمكن أبدا أن يؤسّس مثل ذلك المركز القيادي عمله على القولبة والسّطحيّة والمماثلة الآليّة في قواعد النّضال التّكتيكية. فما دام اختلاف الشّعوب والبلدان في القوميّة والسّياسيّة قائم، وستبقى تلك الاختلافات زمنا طويلا جدّا حتّى بعد تحقيق دكتاتوريّة الطبقة العماليّة في النّطاق العالمي، فإنّ وحدة التّكتيك العالمي عند الحركة العماليّة الشّيوعيّة في كلّ البلدان لا يتطلّب إزالة التنوّع ولا استئصال الاختلافات القوميّة (فما ذلك الآن إلّا حلم سخيف) بل يتطلّب تطبيق المبادئ الأساسيّة في الشّيوعيّة (سلطة السّوفييتات ودكتاتوريّة الطبقة العماليّة) تطبيقا يغيّر على نحو صحيح تلك المبادئ في القضايا الخاصّة، ويلائمها ويعدّلها وفق ما تتطلّبه الخصوصيّات القوميّة والسّياسيّة. البحث والدّراسة والاكتشاف والاستشراف والفهم في ما يوجد من خصوصيّة قوميّة وسمة قوميّة في الطريقة العمليّة التّي يتناول فيها كلّ بلد حلّ القضيّة العالميّة المشتركة بين الجميع: هزم الانتهازيّة

والعقائديّة اليساريّة في الحركة العماليّة والإطاحة بالبرجوازيّة وتركيز جمهوريّة السّوفييتات ودكتاتوريّة الطبقة العماليّة - تلك هي المهمّة الرّئيسيّة الملقاة على عاتق جميع البلدان المتقدّمة (وليس البلدان المتقدّمة وحدها) في اللّحظة التّاريخيّة التّي نجتاز» (لينين، «اليساريّة» مرض طفولي في الشّيوعيّة، المجلّد 25، ص 60)

خط الأمميّة الشّيوعيّة هو الخط الذّي يقضي بأن نأخذ هذا المبدأ التّكتيكي في اللينينيّة بعين الاعتبار جبرا.

خط المعارضة هو عكس ذلك فهو يقطع الصلة بهذا المبدأ.

تكمن جذور ضلال المعارضة في قضايا طابع الثّورة الصّينيّة وآفاقها في ذلك القطع على وجه التّحديد.

لنتقل إلى المبدأ التّكتيكي الثّاني في اللينينيّة.

تنساب قضيّة حلفاء الطبقة العماليّة في نضالها في سبيل الثّورة المظفّرة من طابع الثّورة الصّينيّة وآفاقها.

إنّ قضيّة حلفاء الطبقة العماليّة هي واحدة من القضايا الأساسيّة في الثّورة الصّينيّة.

تجد الطبقة العماليّة الصّينيّة عدوّا قويّا أمامها: الإقطاعيّون كبارا وصغار، الجهاز العسكري والبيروقراطي من العسكريين القدماء والجدد، والبرجوازيّة الوطنيّة المعادية للثّورة، وإمبرياليي الشّرق والغرب الذّين وضعوا بين أيديهم الجوهري من عناصر الحياة الاقتصاديّة في الصّين ويسندون حقّهم في استغلال الشّعب الصّيني بجيشي البرّ والبحر.

فلأجل هزم أولئك الأعداء الأقوياء يجب على الطبقة العماليّة، من مجمل ما يجب عليها، أن تسلك سياسة مرنة ومتبصّرة وأن تحسن استغلال أي تصدّع في معسكر الأعداء وأن تحسن إيجاد حلفاء حتّى إنْ قلّ ثباتهم وقلّت صلابتهم لكن شرط أن يكونوا أقوياء في العدد ولا يضيّقوا الخناق أبدا على ما يقوم به حزب الطبقة العماليّة من دعاية وتحريض ثوريين وأن لا يضيّقوا الخناق أبدا على عمل ذلك الحزب في تنظيم الطبقة العماليّة والجماهير الشغيلة.

إن هذه السّياسة هي المطلب الجوهري الذّي يقضي به المبدأ التّكتيكي الثّاني في اللينينيّة.

فبدون سياسة كالتّي ذكرنا استحال نصر الطبقة العماليّة.

تعتقد المعارضة أنّ هذه السّياسة خاطئة وغير لينينيّة. لا يبيّن ذلك سوى أنّها فقدت آخر بقايا اللينينيّة، وأنّها بعيدة عن اللينينيّة بعد السّماء عن الأرض.

هل كان للطبقة العماليّة الصّينيّة حلفاء من ذاك القبيل الذّي ذكرنا في الماضي القريب؟
نعم. كان لها ذلك.
فلمّا كانت الثّورة عند أوّل مراحلها، مرحلة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة (مرحلة كانتون) كان الفلّاحون وفقراء المدن والمثقّفون البرجوازيون الصّغار والبرجوازيّة الوطنيّة حلفاء الطبقة العماليّة.
إنّ إحدى مميّزات الحركة الثّوريّة الصّينيّة هي أنّ ممثلو تلك الطبقات قاموا والشّيوعيّين بعمل مشترك في ذات المنظّمة الثّوريّة البرجوازيّة الوحيدة التّي تسمّى الكيومينتانغ.
لم يتساوى أولئك الحلفاء في الإخلاص. ولا يمكن أن يكونوا إلّا كذلك. فكان بعضهم حليفا أكثر إخلاصا (الفلّاحون وفقراء المدن) وكان بعض ثان حليفا أقلّ إخلاصا ومتردّدا (المثقّفون البرجوازيون الصّغار) وكان البعض الأخير حليفا لا إخلاص له مطلقا (البرجوازيّة الوطنيّة).
لا جدال في أنّ الكيومينتانغ كان منظّمة جماهيريّة إلى حدّ معيّن. وقامت سياسة الشّيوعيّين فيه آنذاك على عزل ممثّلي البرجوازيّة الوطنيّة (اليمين) من خلال استغلالهم في صالح الثّورة؛ ودفع المثقّفين البرجوازيّين الصّغار (اليسار) نحو اليسار؛ وجمع الفلّاحين وفقراء المدن حول الطبقة العماليّة.
هل كانت كانتون آنذاك مركز الحركة الثّوريّة في الصّين. نعم. لا جدال في ذلك. ولا ينكره إلّا مغترب.
ما كانت نجاحات الشّيوعيّين في تلك الفترة؟ ببلوغ جيوش كانتون نهر يانغ-تساي-كيانغ اتّسعت رقعة الأرض التّي شملتها الثّورة؛ إمكان تنظيم الطبقة العماليّة تنظيما علنيّا (نقابات، لجان الإضراب)؛ توحّد المنظّمات الشّيوعيّة في حزب؛ خلق أولى الخلايا التّنظيميّة الفلاحية (اتّحادات الفلّاحين)؛ تسلّل الشّيوعيّين إلى الجيش.
يتّضح من ذلك أنّ قيادة الأمميّة الشّيوعيّة في تلك الفترة كانت على صواب تامّ.
في زمن المرحلة الثّانية من الثّورة الصّينيّة، لمّا انتقل تشان كاي-تشاك والبرجوازيّة الوطنيّة إلى معسكر أعداء الثّورة، وانتقل مركز الحركة الثّوريّة من كانتون إلى وُوهان كان الفلّاحون وفقراء المدن والمثقّفون البرجوازيّون الصّغار حلفاء الطبقة العماليّة.

كيف نفسّر انتقال البرجوازيّة الوطنيّة إلى معسكر أعداء الثّورة؟ أولا، الخوف الذّي تملّكها من اتّساع حركة العمّال الثّوريّة. ثانيا، الضّغط الذّي مارسه عليها الإمبرياليون في شنغهاي. لقد خسرت الثّورةُ، على هذا النحو، البرجوازيّةَ الوطنيّةَ. كانت خسارة جزئيّة في الثّورة. لكن الثّورة كانت قد دخلت مرحلة من تطوّرها أعلى، هي مرحلة الثّورة الزّراعيّة، وجذبت إليها وعلى نحو كبير جماهير الفلّاحين العظيمة.

كان ذلك عاملا في صالح الثّورة.

هل كان الكيومينتانغ منظمة جماهيريّة في ثاني مراحل الثّورة. نعم. لا جدال في ذلك. وإنه لأمر أكيد أن كان منظمة أكثر جماهيريّة مما كان له زمن كانتون.

إذن، هل كانت وُوهان مركز الحركة الثّوريّة؟ نعم. لا جدال في ذلك. ولا ينكره إلّا أعمى. فلو كان الأمر على خلاف ذلك لما كانت وُوهان (هو-باي، هو-نان) آنذاك قاعدة نهوض أقصى في الثّورة الزّراعيّة التّي يقودها الحزب الشّيوعي.

قامت سياسة الشّيوعيّين نحو الكيومينتانغ على دفعه نحو اليسار وتحويله نواة دكتاتوريّة العمال والفلّاحين الديمقراطية الثّوريّة.

هل ذلك التّحويل ممكنا؟ نعم. وفي جميع الأحوال ما من سبب يدفع إلى الاعتقاد أنّ مثل تلك الإمكانيّة مستبعدة. فنقول بكل وضوح: كي نجعل من كيومينتانغ وُوهان مركزا لدكتاتوريّة العمال والفلّاحين الديمقراطية الثّوريّة يلزمنا شرطان: جعل الكيومينتانغ ديمقراطيا على نحو جذري؛ ومساعدته في الثّورة الزّراعيّة مساعدة مباشرة. إنّ عدم استغلال هذا التّحويل سيكون ذلك أمرا أخرق من جانب الشّيوعيّين.

ما هي نجاحات الشّيوعيّين في تلك الفترة؟

تطوّر الحزب الشّيوعي خلال تلك الفترة من حزب صغير يتراوح تعداده بين 5 و6 آلاف عضو إلى حزب كبير جماهيري يتراوح تعداده بين 50 و60 ألف عضو.

أصبحت النقّاباتُ فيدراليةً ضخمة تمتدّ في كامل الصّين يناهز تعدادها 3 ملايين عضو.

تطوّرت منظّمات الفلّاحين القاعديّة فأصبحت اتّحادات ضخمة تضمّ عشرات الملايين من الفلّاحين. واكتسبت حركة الفلّاحين الزّراعيّة أبعادا هائلة واحتلّت موقعا مركزيا في الحركة الثّوريّة الصّينيّة. واكتسب الحزب الشّيوعي إمكانية تنظيم الثّورة علنا. وأصبح قائد الثّورة الزّراعيّة. وبدأت هيمنة الطبقة العماليّة تتحوّل من شعار إلى واقع ناجز.

الحقّ لم يستطع الحزب الشّيوعي الصّيني أن يستغلّ كلّ إمكانيات تلك الفترة. وصحيح أنّ لجنة الحزب الشّيوعي الصّيني التّنفيذيّة وقعت في أخطاء خطيرة آنذاك. لكن سيكون من السّذاجة أن نعتقد أنّ بإمكان هذا الحزب أن يصبح حزبا بلشفيّا حقيقيّا ذي خطّ واحد على أساس تعاليم الأمميّة الشّيوعيّة. ولنتذكّر تاريخ حزبنا الذّي مرّ بجملة من الانقسامات والانشقاقات والخيانات وغيرها حتّى نفهم أنّ الأحزاب البلشفيّة حقّا لا تولد من خطّ واحد. ينتج إذن أنّ قيادة الأمميّة الشّيوعيّة كانت صحيحة في تلك الفترة أيضا.

هل للطبقة العماليّة الصّينيّة حلفاء الآن؟

نعم. لها ذلك.

الفلّاحون وفقراء المدن هم حلفاؤها.

ما يميّز الفترة الحاليّة هو انتقال قيادة كيومينتانغ وُوهان إلى معسكر أعداء الثّورة؛ وتخلّي المثقّفين البرجوازيّين الصّغار عن الثّورة.

نفسّر هذا التخلّي، أولا، بالخوف الذّي تثيره الثّورة الزّراعيّة المتعاظمة في المثقّفين البرجوازيّين الصّغار، والضّغط الذّي يمارسه الإقطاعيون على قيادة وُوهان؛ وثانيا، بالضغط الامبريالي في منطقة تيان-تسين أين يفرضون على الكيومينتانغ مقاطعة الشّيوعيّين مقابل السّماح لهم بالتحرّك في الشّمال.

تشكّ المعارضة وفي وجود بقايا إقطاعيّة في الصّين. لكن من الواضح الآن أن البقايا الإقطاعيّة لا توجد فحسب بل اتضح أنّها من زخم الثّورة الحالي. وتحمّلت الثّورة هزيمة مؤقّتة لأنّ الامبرياليين والإقطاعيين، تحديدا، هم الأقوى في الصّين.

لقد خسرت الثّورة المثقّفين البرجوازيّين الصّغار هذه المرّة. وتلك علامة هزيمتها المؤقّتة على وجه التّحديد.

لكنّها جمّعت، في المقابل، الجماهير الهائلة من الفلّاحين وفقراء المدن على نحو قويّ. وخلقت من ذلك مجالا للهيمنة العماليّة.

وإنّما ذلك للثّورة حافز.

تفسّر المعارضة الهزيمة المؤقّتة في الثّورة بسياسة الأمميّة الشّيوعيّة. لكن لا يقول كذا قولا إلّا من قطع مع الماركسيّة. فمن كان في قطيعة مع الماركسيّة كان يطالب أن تنتهي السّياسة الصّحيحة إلى نصر فوري على العدوّ دائما وبالضّرورة.

هل كانت سياسة البلاشفة صحيحة زمن ثورة 1905؟ نعم. لقد كانت صحيحة. فلماذا منيت ثورة 1905 بهزيمة رغم وجود السّوفييتات ورغم صحّة سياسة البلاشفة؟ لأنّ بقايا الإقطاع والحكم المطلق كانا آنذاك أقوى من حركة العمّال الثّوريّة.

هل كانت سياسة البلاشفة صحيحة في تموز 1917؟ نعم. لقد كانت صحيحة. فلماذا مني البلاشفة بالهزيمة من جديد رغم وجود السّوفييتات التّي خانتهم، ورغم صحّة سياسة البلاشفة؟ لأنّ الإمبرياليّة الرّوسية كانت أقوى من حركة العمال الثّوريّة.

لا تؤدي السّياسة الصّحيحة إلى انتصار فوري على العدوّ دوما وبالضّرورة. فالانتصار الفوري على العدو لا تحدّده سياسة صحيحة فحسب بل أيضا وفي المقام الأول وعلى الأخص ميزان القوى الطبقيّة وهيمنة قوى الثّورة هيمنة بيّنة وتشتّت معسكر العدوّ ووضع عالمي ملائم.

إنّ سياسة صحيحة تسلكها الطبقة العماليّة لا تؤدّي إلى انتصار فوري إلّا في تلك الظروف. لكنّ الالتزام بسياسة صحيحة على الدّوام وفي جميع الظروف إنّما هو مطلب ضروري. إنّ هذا المطلب يقضي أن تنمّي سياسة الحزب القدرة الكفاحيّة عند الطبقة العماليّة، وأن تضاعف صلاتها بالجماهير الشّغيلة، وأن تعلي نفوذ الطبقة العماليّة بين الجماهير، وأن تضمن هيمنة الطبقة العماليّة في الثّورة.

أيمكننا أن نجزم أنّه قد توفّر حدّ أدني من الظروف الملائمة لانتصار فوري في الثّورة الصّينيّة خلال الفترة المنقضية؟

لا. ذلك بيّن.

أيمكننا أن نجزم بأنّ السياسة الشّيوعيّة في الصّين لا تنمي القدرة الكفاحيّة عند الطبقة العماليّة ولم تضاعف صلاتها بالجماهير الواسعة ولم تعلي نفوذ الطبقة العماليّة بين تلك الجماهير؟ لا. ذلك بيّن.

إنّه لأعمى ذاك الذّي لا يرى كيف أنّ الطبقة العماليّة الصّينيّة نجحت آنذاك في أن تعزل الجماهير الفلاحية الواسعة والمثقّفين البرجوازيّين الصّغار معا عن البرجوازيّة الوطنيّة وأن تجمّعهم حول رايتها.

كان الحزب الشّيوعي قد مرّ بتكتّل مع البرجوازيّة الوطنيّة في كانتون في أولى مراحل الثّورة حتّى يوسّع من رقعة الثّورة، ويجعل من نفسه حزبا جماهيريّا، ويتمكّن من تنظيم الطبقة العماليّة علنا، ويشقّ طريقه إلى الفلّاحين.
وكان الحزب الشّيوعي قد مرّ بتكتّل مع المثقفين البرجوازيّين الصّغار في الكيومينتانغ في وُوهان خلال ثاني مراحل الثّورة حتّى يضاعف قواه، ويوسّع تنظيم الطبقة العماليّة، و يعزل جماهير الفلّاحين الهائلة عن قيادة الكيومينتانغ، ويخلق ظروف هيمنة الطبقة العماليّة.
لقد انتقلت البرجوازيّة الوطنيّة إلى معسكر أعداء الثّورة خاسرة صلاتها بالجماهير الشّعبية الهائلة.
والتحق المثقّفون البرجوازيّون الصّغار في كيومينتانغ وُوهان بالبرجوازيّة الوطنيّة فزعا من الثّورة الزّراعيّة ومفضوحين تماما أمام عيون جماهير الفلّاحين التّي لا تحصى.
أمّا جماهير الفلّاحين العظيمة فقد تجمّعت حول الطبقة العماليّة على نحو أقوى، وباتت ترى فيها قائدها وزعيمها الوحيد المخلص.
أليس من الواضح أن مثل تلك النتائج لا يمكن أن تقدّمها إلّا سياسة صحيحة؟
أليس من الواضح أنّ قدرة الطبقة العماليّة الكفاحيّة لا يمكن أن تنميّها إلّا مثل تلك السّياسة؟
أهناك من ينكر ما في تلك السّياسة من صواب وروح ثوريّة غير قادة معارضتنا التّعساء؟
تؤكّد المعارضة أن انتقال كيومينتانغ وُوهان إلى معسكر أعداء الثّورة يثبت أنّ التكتّل معه في ثاني مراحل الثّورة كان سياسة خاطئة.
لكن لا يتجرّأ في الحديث على هذا النحو إلّا من نسي تاريخ البُلشفيّة وفقد آخر بقايا اللينينيّة.
هل كانت السّياسة البُلشفيّة التّي قوامها التّكتّل الثّوري مع يسار الاشتراكيين-الثّوريّين في أكتوبر وبعده إلى حدود ربيع 1917 سياسة صحيحة؟ أعتقد أن لا أحد بلغ به الأمر إلى حدّ الآن أن ينكر صحّة ذلك التّكتّل. كيف انتهى ذلك التّكتّل؟ بانتفاض يسار الاشتراكيين-الثّوريّين على السّلطة السّوفييتيّة. فهل يمكننا أن نجزم على أساس ذلك أنّ سياسة التّكتّل مع يسار الاشتراكيين-الثّوريّين كانت خاطئة؟ لا. ذلك بيّن.
هل كانت سياسة التّكتّل مع كيومينتانغ وُوهان في ثاني مراحل الثّورة الصّينيّة سياسة صحيحة؟ أعتقد أن ما من أحد إلى حدّ الآن ينكر صحّة ذلك التّكتّل في ثاني مراحل الثّورة.

ولقد كانت المعارضة نفسها تؤكّد صواب ذلك التّكتّل آنذاك (نيسان 1927). فكيف يمكننا أن نعلن الآن، وقد تخلّت قيادة كيومينتانغ وُوهان عن الثّورة، أنّ التّكتّل الثّوري مع كيومينتانغ وُوهان كان سياسة خاطئة بسبب ذلك التخلّي ؟

أليس من الواضح أنّ من يقدّم مثل هذه «الحجج» إنما هو عديم الشخصيّة ؟

هل أكّد أحد أنّ التّكتّل مع كيومينتانغ وُوهان سيكون أزليّا ومطلقا ؟ وهل توجد تكتّلات أزليّة ومطلقة في الطّبيعة ؟ أليس من الواضح أنّ المعارضة لم تفهم شيئا إطلاقا من المبدأ التّكتيكي الثّاني في اللينينيّة المتعلّق بالتّكتّل الثّوري من جانب الطبقة العماليّة مع الطبقات والمجموعات غير العماليّة.

إليكم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ التكتيكي:

﴿لا يمكن هزم عدو أكثر قوّة إلّا ببذل أقصى الجهد ولا بدّ أثناء ذلك من الاستفادة كلّ الاستفادة، وبمنتهى الاهتمام واليقظة، من أيّ «صدع» فيما بين الأعداء مهما كان ضئيلا، ومن أيّ تناقض في المصالح بين برجوازيّة مختلف البلدان، وبين مختلف المجموعات والفئات البرجوازيّة داخل كلّ بلد، وكذلك من الاستفادة من أيّة إمكانيّة، مهما كانت ضئيلة، لكسب حليف جماهيري، ولو كان حليفا مؤقّتا ومتذبذبا وظرفيّا وضعيفا وغير موثوق. ومن لم يفهم هذا الأمر إنّما لم يفهم ولو حرفا واحدا من الماركسيّة ومن الاشتراكيّة العلميّة الحديثة بوجه عام. فمن لم يثبت عمليّا، خلال مدّة طويلة جدّا وفي أوضاع سياسيّة متنوّعة جدّا، قدرته على تطبيق هذه الحقيقة في العمل، فإنّه لم يتعلّم بعدُ كيف يساعد الطبقة الثّوريّة في نضالها في سبيل تحرير البشريّة الكادحة جمعاء من المستغِلّين. وما أتيت على ذكره إنّما يصحّ على المرحلة التّي تسبق استيلاء الطبقة العماليّة والمرحلة تليها.﴾ (لينين، «اليساريّة» مرض طفولي في الشّيوعيّة، المجلّد 25، ص 227-228)

أليس من الواضح أنّ خطّ المعارضة هو الخط الذّي يقطع مع هذا المبدأ التّكتيكي في اللينينيّة ؟

أليس من الواضح أنّ خطّ الأمميّة الشّيوعيّة هو الخط الذّي يقضي أن نأخذ هذا المبدأ التّكتيكي بعين الاعتبار جبرا ؟

لننتقل إلى المبدأ التّكتيكي الثّالث في اللينينيّة.

يتعلّق هذا المبدأ بقضيّة تغيير الشّعارات، بعالم ذلك التّغيير ووسائل إنجازه؛ ويتعلّق بقضيّة معرفة كيف يمكن أن تصبح شعاراتُ الحزب شعاراتَ الجماهير، قضيّة معرفة كيف يمكن أن نصل بالجماهير إلى مواقف ثوريّة حتّى تقتنع بصحّة شعارات الحزب من خلال تجربتها السّياسيّة الخاصّة.

لا يمكننا أن نقنع الجماهير بالدّعاية والتّحريض حصرا. فذلك يستوجب تجربة سياسة خاصّة بالجماهير نفسها. فيجب أن تحسّ أوسع الجماهير بنفسها وعلى طريقتها الخاصّة بضرورة الإطاحة بالنّظام القائم وضرورة إرساء نظام سياسي واجتماعي جديد.

من المهمّ جدّا أن يكون الحزب ذلك الجزء الطليعي قد اقتنع بضرورة الإطاحة بحكومة ميليوكو-كيرينسكي في نيسان 1917. لكن ذلك لا يكفي بعدُ حتّى نشرع في توجيه العمل نحو الإطاحة بتلك الحكومة؛ فنجعل من شعار الإطاحة بالحكومة المؤقّتة وإرساء سلطة السّوفييتات شعار السّاعة. فحتّى نجعل من صيغة «كل السّلطة للسّوفييتات»، وهي صيغة تعبّر عن أفق الفترة القريبة، شعار السّاعة أي شعار عمل فوري، نحتاج إلى حالة فاصلة وهي أن تقتنع الجماهير نفسها بصحّة ذلك الشّعار وتقدّم للحزب عونا في إنجازه.

يجب أن نميّز بدقّة تناول الصّيغة من جهة أنّها أفق المستقبل القريب من تناولها من جهة أنّها شعار السّاعة.

ذلك ما أحبط، تحديدا، مجموعة البلاشفة وعلى رأسها باغدادياف، لمّا أطلقت شعار «لتسقط الحكومة المؤقّتة، كلّ السّلطة للسّوفييتات!» في وقت مبكّر جدّا وكان ذلك في بيتروغراد في نيسان 1917. وقد وصف لينين محاولة مجموعة باغدادياف تلك بأنّها تحوي روح مغامرة خطيرة وحاربها أمام الجميع.

فلم تكن الجماهير الواسعة في المؤخّرة وفي الجبهة جاهزة بعدُ لتقبّل ذلك الشّعار. وخلطت تلك المجموعة صيغة «كل السّلطة للسّوفييتات» من جهة أنّها أفق بشعار «كل السّلطة للسوفييتات» من جهة أنّه شعار السّاعة. فإذا بتلك المجموعة تتقدّم بسرعة مفرطة فيهدّد ذلك الحزب بالانعزال تماما عن الجماهير الواسعة والسّوفييتات التّي لا تزال تؤمن بوجود روح ثوريّة في الحكومة المؤقّتة.

هل كان على الشّيوعيّين الصّينيّين أن يطلقوا شعار «لتسقط قيادة كيومينتانغ وُوهان» منذ ستّة أشهر مضت؟ لا. لم يكن عليهم ذلك.

لم يكن عليهم ذلك وإلا كان ذلك سبق خطير يعيق صلة الشّيوعيّين بأوسع جماهير الشغيلة التّي كانت لا تزال تثق في كيومينتانغ وُوهان؛ وإلا عزل ذلك الحزب الشّيوعي عن جماهير الفلّاحين العظيمة.

لم يكن عليهم ذلك لأنّ قيادة كيومينتانغ وُوهان ولجنته المركزية لم يكن لهما من الوقت الكافي لتستنفذا كلّ إمكانياتهما من جهة أنهما حكومة ثوريّة برجوازيّة. ولم يكن لهما من الوقت الكافي حتّى تنكشفا وتفضحا أمام عيون جماهير الشغيلة العظيمة من خلال مقاومة تلك القيادة الثّورة الزّراعيّة والطبقة العماليّة ومن خلال انضمامها إلى أعداء الثّورة.

كنّا نقول دائما أنه لا يجب أن نوجّه الأمور نحو الانتقاص من أهمية كيومينتانغ وُوهان وتغييره طالما لم يستنفذ بعدُ كلّ إمكانياته من جهة أنه حكومة ثوريّة برجوازيّة وأن نمكّنه من الوقت حتّى يستنفذها قبل أن نتناول قضيّة تعويضه تناولا عمليّا.

هل يجب على الشّيوعيّين الصّينيّين أن يرفعوا اليوم شعار «لتسقط قيادة كيومينتانغ وُوهان»؟ نعم. يجب عليهم ذلك مطلق الوجوب.

فاليوم، وقد تورّطت قيادة كيومينتانغ وُوهان في محاربة الثّورة وطالها عداءُ جماهير العمّال والفلّاحين العظيمة، يجد هذا الشّعار صدى قويّا بين الجماهير الشّعبية. اليوم يفهم كلّ عامل وكل فلاح أن الشّيوعيّين على صواب عندما يغادرون حكومة وُوهان ولجنة كيومينتانغ وُوهان المركزية ويرفعون شعار «لتسقط قيادة كيومينتانغ وُوهان.

يجد العمال والفلّاحون اليوم أنفسهم أمام خيار: إمّا قيادة الكيومينتانغ الحاليّة التّي ترفض تلبية مطالبهم الحيويّة وترفض إنجاز الثّورة الزّراعيّة، وإمّا الثّورة الزّراعيّة وتحسين وضع الطبقة العماليّة تحسينا جذريّا وتغيير قيادة كيومينتانغ وُوهان هو شعار السّاعة عندهم.

ذلك ما يستوجبه المبدأ التّكتيكي الثالث في اللينينيّة فيما اتصل بتغيير الشّعارات وسبل ووسائل الارتقاء بالجماهير العظيمة إلى مواقف ثوريّة جديدة، ومعرفة كيف يساعد الحزبُ، من خلال سياسته وأنشطته والتّغيير المناسب لبعض الشّعارات، جماهيرَ الشغيلة العظيمة على الاعتراف بصحّة خطّ الحزب من خلال تجربتها الخاصّة.

إليكم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ التكتيكي:

﴿لا الانتصار بقوى الطليعة وحدها. وزجّ الطليعة وحدها في معركة حاسمة، قبل أن تكون الطبقة كلّها والجماهير الواسعة قد اتّخذت إمّا موقف التّأييد المباشر للطليعة وإمّا، على الأقلّ، موقف حياد يتّسم بالنيّة الطيّبة تجاهها، بحيث تكون غير قادرة أبدا على تأييد عدوّ الطليعة، لا يكون حماقة فحسب، بل جريمة أيضا. فلكي تتّخذ الطبقة كلّها فعلا، وجماهير الكادحين الواسعة فعلا، ويتّخذ من تضطهدهم الرّأسماليّة، مثل هذا الموقف، لا تكفي الدّعاية وحدها والتّحريض وحده. فلزم لذلك أن يكون لتلك الجماهير تجربتها السّياسيّة الخاصّة. ذلك هو القانون الأساسي في جميع الثّورات الكبرى، وقد أثبتته الآن روسيا وفضلا عنها ألمانيا بقوّة وجلاء ساطعين. فلم يكن الأمر يتطلّب من الجماهير الرّوسيّة، غير المثقّفة والأميّة في أغلبها، وحدها بل كان الأمر يتطلّب من الجماهير المثقّفة ثقافة عالية والمتعلّمة كلّها في ألمانيا أيضا. أن تلمس بتجاربها المرّة كلّ عجز حكومة فرسان الأمميّة الثّانية وكلّ ميوعتها، وكلّ وهنها وكلّ خنوعها أمام البرجوازيّة، وكلّ دناءتها، وكلّ حتميّة دكتاتوريّة الرّجعيّين المتطرّفين (كورنيلوف في روسيا وكاب وشركائه في ألمانيا) باعتبارها البديل الوحيد عن دكتاتوريّة الطبقة العماليّة، حتّى تتّجه تلك الجماهير بصورة قاطعة نحو الشّيوعيّة. إنّ المهمّة المباشرة التّي تواجهها الطليعة الواعية من الحركة العماليّة العالميّة، أي الأحزاب والفرق والتيّارات الشّيوعيّة، هي أن تكون قادرة على دفع الجماهير الواسعة (التّي لا تزال في أغلب الأحوال ساكنة، بليدة الحسّ، تقيّدها الرّتابة) نحو هذا الوضع الجديد، أو بالأصحّ، أن تكون قادرة على قيادة حزبها، وليس حزبها فقط، بل وتلك الجماهير أيضا، أثناء اقترابها من ذلك الوضع الجديد وانتقالها إليه.﴾ (لينين، «اليساريّة» مرض طفولي في الشّيوعيّة، المجلّد 25، ص 228)

الخطأ الأساسي عند المعارضة هو أنّها لا تفهم مغزى هذا المبدأ التّكتيكي في اللينينيّة وأهميّته. فهي لا تقبله مطلقا وتحيد عنه بانتظام.

لقد حادت المعارضة (التروتسكيون) عن هذا المبدأ التّكتيكي في مطلع عام 1917، عندما حاولت «القفز» إلى ما بعد الحركة الزّراعيّة التّي لم تكتمل بعدُ (انظر في ما كتب لينين).

وحادت المعارضة (تروتسكي، زينوفييف) عنه عندما حاولت «القفز» لتجاوز الروح الرجعيّة في النقّابات معلنة أن لا جدوى من عمل الشّيوعيّين في النقّابات الرجعيّة وإقامة تكتّلات مؤقّتة معها.

تعتقد المعارضة أنّها إذ فهمت واعترفت بالطابع الهجين عند الكيومينتانغ وتردّداته وهشاشته، وإذ اعترفت بالطابع الوقتي والمشروط للتكتّل مع الكيومينتانغ (وذلك أمر لا يصعب فهمه على أي مناضل كفء)، فإنّ ذلك يكفي تماما لنتّخذ «عملا فاصلا» ضدّ الكيومينتانغ، ضدّ سلطة الكيومينتانغ؛ أنّ ذلك يكفي تماما حتّى تساند الجماهير العظيمة من العمّال والفلّاحين «عملنا الفاصل» قلبا وقالبا.

تنسى المعارضة هنا أنّ فهم«نا» أبعدُ من أن يكون كافيا حتّى يتمكّن الشّيوعيون الصّينيون من جرّ الجماهير ورائهم. فالمعارضة تنسى أنّه يلزم لذلك أيضا أن تعترف الجماهير بهشاشة قيادة الكيومينتانغ وروحها الرجعيّة المعادية للثّورة وذلك من خلال تجربتها الخاصّة.

تنسى المعارضة أنّ الثّورة لا «تحدث» فقط بالطّليعة، الحزب، أو الشّخصيات وإن كانت «هامّة» ولكنّها تكون بالجماهير الشّعبية العظيمة قبل كلّ شيء وعلى الأخصّ.

فمن الغريب أن تنسى المعارضة حال الجماهير الشّعبية العظيمة ووعيها وإن كانت جاهزة لعمل فاصل.

ألم نكن نعرف نحن، الحزب ولينين أنّ من اللاّزم علينا أن نطيح بحكومة ميمنيونكوف-كيرينسكي المؤقّتة في نيسان 1917؛ وأنّ وجود الحكومة المؤقّتة لا يتوافق ونشاط السّوفييتات؛ ويجب أن تنتقل السّلطة إلى السّوفييتات؟ نعم. كنّا نعرف ذلك.

لماذا إذن ندّد لينين في بيترسبورغ في نيسان 1917 بمجموعة بلاشفة يتزعّمها باغدادياف بأنّها مجموعة مغامِرة عندما أطلقت شعار «لتسقط الحكومة المؤقّتة، كلّ السّلطة للسوفييتات» لتطيح بالحكومة المؤقّتة؟

لأنّ الجماهير العظيمة من الكادحين وقسم من العمّال وملايين من الفلّاحين وجماهير الجيش والسّوفييتات نفسها لم تكن جاهزة بعدُ لتتقبّل ذلك الشّعار من جهة أنّه شعار الساعة.

لأنّ الحكومة المؤقّتة والأحزاب البرجوازيّة الصغيرة من الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة لم يستنفذوا بعدُ كلّ إمكانياتهم حتّى يفضحوا كفاية أمام عيون الجماهير الكادحة التّي لا تحصى.

لأنّ لينين كان يعلم أنّه لنطيح بالحكومة المؤقّتة ونركّز سلطة السّوفييتات، لا يكفي لذلك ما لدى طليعة الطبقة العماليّة، حزب الطبقة العماليّة، من فهم ووعي، بل يلزم لذلك أيضا أن تقتنع الجماهير نفسها بصحّة ذلك الخطّ بتجربتها الخاصّة.
لأنّه كان لا بدّ أن نمرّ بكامل ذلك المشهد من التحالفات والخيانة والغدر من جانب الأحزاب البرجوازيّة الصغيرة في حزيران وتموز وآب من عام 1917، والتحالف الوفي بين أضراب كورنيلوف وميليوكوف، وتمرّد كورنيلوف وغير ذلك، حتّى فهمت الجماهير الكادحة التّي لا تحصى أنّ الإطاحة بالحكومة المؤقّتة وتركيز سلطة السّوفييتات إنّما هما أمران لا مفرّ منهما.
لأنّه في مثل تلك الظروف فقط يكفّ شعار سلطة السّوفييتات عن أن يكون أفقا ليصبح شعار الساعة.
إنّ تعاسة المعارضة هي أنّها تقترف دائما نفس الخطأ الذّي كان وقع فيه باغداديباف آنذاك؛ وأنّها إذ تتخلّى عن طريق لينين فهي تحبّذ أن «تسير» على في طريق باغداديباف.
ألم نكن نعرف نحن الحزب ولينين أنّ الجمعيّة التأسيسيّة لا تتوافق ونظام السّلطة السوفييتية عندما شاركنا في انتخاب الجمعيّة التأسيسيّة وحتّى عندما طلبناها في بيتروغراد؟ نعم. كنا نعرف ذلك.
لماذا طلبناها؟ وكيف حدث أنّ شارك البلاشفة في انتخاب الجمعيّة التأسيسيّة وطلبوا هذه الأخيرة في الوقت الذّي تُشيّد فيه السّلطة السوفييتية وهم أعداء البرلمانية البرجوازيّة؟ هل كان ذلك من باب «التّذيّل»؟ هل كان ذلك من باب إبطاء الأحداث و«كبح جموح الجماهير» وكبح تكتيك «المدى البعيد»؟ لا. ذلك بديهي.
لقد استخدمها البلاشفة ليساعدوا الجماهير المتأخّرة من الشّعب على الاقتناع بأمّ عينها بعجز الجمعيّة التأسيسيّة وروحها الرجعيّة المعادية للثّورة. لقد كان ذلك السبيل الوحيد أمام البلاشفة حتّى يكسبوا إلى صفّهم الجماهير التّي لا تحصى من الفلّاحين ويسهل حلّ الجمعيّة التأسيسيّة.
إليكم ما كتبه لينين في هذا الشأن:
﴿لقد شاركنا نحن في انتخابات البرلمان البرجوازي –الجمعيّة التّأسيسيّة- في أيلول-تشرين الثّاني عام 1917. هل كان تكتيكنا صحيحا أم لا؟ .... ألم يكن من حقّنا، نحن البلاشفة

الرّوس، في أيلول-تشرين الثّاني عام 1917، أكثر من أيّ من الشّيوعيّين الغربيّين، أن نعتبر البرلمانيّة في روسيا قد ولّى عهدها سياسيّا؟ بالطبع كان ذلك من حقّنا، لأنّ القضيّة ليست في كون البرلمانات البرجوازيّة موجودة من أمد بعيد أو قريب، بل في قدر استعداد الجماهير الغفيرة الكادحة (استعدادا فكريّا وسياسيّا وعمليّا) لقبول النّظام السّوفييّتي وحلّ (أو السّماح بحلّ) البرلمان البرجوازي الدّيمقراطي. أمّا أن تكون الطبقة العماليّة في المدن والجنود والفلّاحين في روسيا في أيلول عام 1917 كانوا بحكم بعض الظروف الخاصّة مهيّئين بصورة ممتازة لقبول النّظام السّوفييّتي وحلّ أكثر البرلمانات البرجوازيّة ديمقراطيّة، فهذا واقع لا جدال فيه مطلقا وحقيقة تاريخيّة مقرّرة تماما. ومع ذلك فإنّ البلاشفة لم يقاطعوا الجمعيّة التأسيسيّة، بل اشتركوا في الانتخابات، سواء قبل أو بعد ظفر الطبقة العماليّة بالسّلطة السّياسيّة...

إنّ ما يُستنتج من كلّ ذلك لا جدال فيه إطلاقا: لقد ثبت أنّ الاشتراك في البرلمان البرجوازي الدّيمقراطي، حتّى لبضعة أسابيع قبل انتصار الجمهوريّة السّوفييّتيّة، وحتّى بعد هذا الانتصار، لا يضرّ الطبقة العماليّة الثّوريّة، بل يسهّل لها إمكانيّة أن تثبت للجماهير المتأخّرة لماذا تستوجب هذه البرلمانات الحلّ، وهو يسهّل النّجاح في حلّها، ويسهّل «الإلغاء السّياسي للبرلمانيّة» البرجوازيّة.﴾ (لينين، «اليساريّة» مرض طفولي في الشّيوعيّة، المجلّد 25، ص 202-201)

على هذا النحو كان البلاشفة يطبّقون المبدأ التّكتيكي اللينيني الثّالث.

وعلى هذا النحو يجب أن نطبّق التكتيك البلشفي في الصّين فلا يهمّ إن تعلّق الأمر بالثّورة الزّراعيّة أو بالكيومينتانغ أو بشعار سلطة السّوفييتات.

تعتقد المعارضة أنّ الثّورة الصّينيّة قد انهزمت هزيمة كاملة. من البديهي أن لا شيء من ذلك القبيل. فأن تمنى الثّورة الصّينيّة بهزيمة مؤقّتة فذلك أمر لا شكّ فيه. لكن يتعلّق الأمر الآن بأن نعرف فيما تقوم هذه الهزيمة وما مدى عمقها.

من الممكن أن تدوم هذه الهزيمة مدة تقارب مدة هزيمة ثورة 1905 في روسيا حيث توقّفت الثّورة خلال اثنتي عشر عاما طوالا حتّى أمكنها أن تنفجر من جديد في شباط 1917 بقوّة جديدة وتطيح الحكم المطلق وتشقّ طريقا لثورة جديدة الثّورة السوفييتية.

لا نستبعد مثل هذا الأفق. وليست بالهزيمة الكاملة بعدُ شأنها شأن ثورة 1905 التّي لم تكن هزيمة نهائية. ليست هزيمة نهائية لأنّ الأهداف الرّئيسيّة في الثّورة الصّينيّة في الطور الحالي

من تطوّرها – الثّورة الزّراعيّة، توحيد الصّين ثوريّا، التحرّر من الاضطهاد الإمبريالي- لا تزال تنتظر الحلّ. وإذا ما أصبح هذا الأفق واقعا فلن يتعلّق الأمر بقضيّة تشكيل سوفييتات نوّاب العمّال والفلّاحين فورا في الصّين. لأنّ السّوفييتات لا تتشكّل ولا تزدهر إلّا في حال نهوض ثوري.

لكن هذا الأفق غير محتمل. وليس هناك الآن، على أي حال، ما يدفعنا إلى ذلك الاعتقاد. أبدا. فأعداء الثّورة لم يتّحدوا بعدُ ولن يتّحدوا قريبا حتّى وإن قدّر لهم ذلك في يوم من الأيام. فالحرب تستجد بين العسكريين قدامى وجدد بقوة جديدة ولن يكون ذلك دون إضعاف قوة أعداء الثّورة وأن يزيد من هلاك الفلّاحين وغضبهم.

ولا يوجد في الصّين بعدُ مجموعة أو حكومة تقدر على بسط حتّى أمر من قبيل إصلاح ستوليبين، إصلاح يمكن أن تتخذه المجموعات القائدة مظلة لها.

وملايين الفلّاحين الذين استحوذوا على أراضي المالكين العقاريين ليس من السّهل نزعهم عن الأرض وإلصاقهم بها.

ونفوذ الطبقة العماليّة يتعاظم في عيون الجماهير الكادحة يوما بعد يوم. وقوّاها أبعد من أن تكون قد تحطّمت.

من الممكن أن تماثل هزيمة الثّورة الصّينيّة الهزيمة التّي تكبّدها البلاشفة في تموز 1917 عندما خانتهم سوفييتات المناشفة والاشتراكيين-الثوريين واضطروا وقتئذ إلى الانتقال إلى السريّة لتخرج الثّورة من جديد إلى الشارع بعد بضعة أشهر وتكنس الحكومة الرّوسية الإمبرياليّة.

من البديهي أنّ المماثلة هنا تقريبية. ولا أقبلها إلّا بجميع التحفّظات التّي يفرضها الاختلاف بين الوضع الصّيني اليوم وذاك الذّي كان في روسيا عام 1917. ولم ألجأ إلى هذه المماثلة إلّا لتناول تقريبي لمدى عمق هزيمة الثّورة الصّينيّة.

أعتقد أنّ هذا الأفق هو الأكثر احتمالا. وإذا ما أصبح هذا الأفق واقعا، وإذا ما أصبح نهوض جديد في الثّورة واقعا في وقت قريب (ليس بالضرورة خلال شهرين بل خلال ستة أشهر أو عام) أمكن أن تطرح قضيّة تشكيل سوفييتات نواب العمّال والفلّاحين من جهة أنّها شعار الساعة وبديلا للحكومة البرجوازيّة.

لماذا ؟
لأنّه في ظروف نهوض جديد في الثّورة وفي الطور الحالي من تطوّرها، سيكون تشكيل السّوفييتات قضيّة ناضجة بما فيه الكفاية حتّى يفصل فيها.
فبالأمس، منذ أشهر مضت، لم يكن من الواجب على الشّيوعيّين في الصّين أن يرفعوا شعار السّوفييتات. لأنّ ذلك سكون وقتئذ ضرب من روح المغامرة يخصّ معارضتنا لأنّ قيادة الكيومينتانغ لم يكن لها من الوقت الكافي حتّى ينكشف عداؤها للثّورة.
أمّا اليوم فيمكن أن يصبح شعار السّوفييتات شعارا ثوريّا حقّا إذا ما جدّ نهوض ثوري جديد وقوي في المستقبل القريب.
لهذا السّبب يجب، منذ الآن، وقبل أن يندلع نهوض، ومن خلال النّضال في سبيل استبدال حكومة الكيومينتانغ الحالية بقيادة ثوريّة، أن نقوم عمل واسع النطاق من التّحريض بين صفوف الجماهير الكادحة العظيمة لصالح فكرة السّوفييتات، دون تسرّع ودون تشكيل السّوفييتات اليوم، دون أن يغيب عن البال أن السّوفييتات لا تزدهر إلّا في حال نهوض ثوري قوي.
يمكن أن تقول المعارضة أنها «أوّل» من قدّم ذلك. وأنّ ذلك هو ما يسمّى عندها تكتيك «المدى البعيد».
خطأ مطلق الخطأ. فليس ذاك تكتيك «المدى البعيد» وإنّما هو تكتيك الضّال وتكتيك ضربة هنا وأخرى هناك.
فعندما طالبت المعارضة بانسحاب الشّيوعيّين الفوري من الكيومينتانغ في نيسان 1926، كان ذلك تكتيك الضربات البعيدة لأنّ المعارضة نفسها كانت قد اعترفت بأنّ على الشّيوعيّين أن يبقوا في الكيومينتانغ فيما بعدُ.
وعندما أعلنت المعارضة أنّ الثّورة الصّينيّة ثورة من أجل الاستقلال الجمركي، كان ذلك تكتيك الضربات القصيرة لأنّ المعارضة كانت قد تخلّت عن صيغتها بتكتّم فيما بعدُ.
وعندما أعلنت المعارضة في نيسان 1927 أنّ بقايا الإقطاع في الصّين كانت أمرا مبالغ فيه متناسية وجود الحركة الزّراعيّة الجماهيرية، كان ذلك تكتيك الضربات القصيرة لأنّ المعارضة نفسها اضطرّت إلى الاعتراف بخطئها فيما بعدُ.

وعندما أطلقت المعارضة في نيسان 1927 شعار التشكيل الفوري للسوفييتات، كان ذلك تكتيك الضربات البعيدة لأنّ أنصار المعارضة أنفسهم اعترفوا بوجود تناقضات في معسكرهم. فالأوّل (تروتسكي) طالب بأن توجّه الأمور نحو الإطاحة بحكومة وُوهان أمّا الآخر (زينوفييف) فأراد أن «نساعد» نفس الحكومة «بكلّ الوسائل».
لكن منذ متى كان يسمّى عندنا تكتيك ضربة هنا وأخرى هناك المتكرّر دوما تكتيك «الضربات البعيدة »؟
ويجب أن نقول في ما تعلّق بالسّوفييتات أنّ الأمميّة الشّيوعيّة كانت قد سبقت المعارضة وتحدّثت عن السّوفييتات في الصّين من جهة أنّها أفق. ولكنّ السّوفييتات من جهة أنّها شعار الساعة على النحو الذّي صاغته المعارضة في الربيع الماضي من جهة أنّه بديل للكيومنتانغ الثوري، (فلو لم يكن الكيومينتانغ ثوريا لما احتاج زينوفييف إلى الصّياح لـ«نساعد» الكيومينتانغ «بكلّ الوسائل») فإنّما هو مغامرة وسبق مشحون بحبّ التّظاهر. وهو في ذلك لعلى ما كان عليه باغداديان في نيسان 1917 من مغامرة وسبق.
فإن أمكن أن يصبح شعار السّوفييتات شعار الساعة في الصّين في مستقبل قريب فلا يمكن أن نستخلص من ذلك أنّ ما كانت المعارضة قد صاغته في ربيع هذا العام لم يكن مغامر خطيرة ومقلقة.
وإذا كان لينين قد أقرّ ضرورة شعار «كلّ السّلطة للسوفييتات» ووجده مناسبا في أيلول 1917 (قرار اللجنة المركزية المشهور في الانتفاضة) فلا يمكن أن نستخلص من ذلك أنّ ما صاغه باغداديان في نيسان 1917 لم يكن مغامرة مقلقة وخطيرة.
كان بإمكان باغداديان أن يقول في أيلول 1917 أنّه «أوّل» من أوصى بسلطة السّوفييتات منذ نيسان 1917. هل ينتج عن ذلك أنّ باغداديان على صواب في حين كان لينين على خطئ فادح لمّا وصف مداخلته في نيسان 1917 بروح المغامرة؟
لا تفهم المعارضة أنّ الأمر لا يتعلّق أبدا بمن كان «أوّل» من تناول الشّأن بسبق وإساءة للثّورة وإنّما يتعلّق بأن نتناول ذلك الشّأن في ما يناسبه من وقت وعلى نحو تفهم فيه الجماهير ذلك الشّأن وتنجزه.
تلك هي الوقائع.

والحصيلة عند المعارضة هي التّخلي عن التكتيك اللينيني مقابل سياسة قوامها روح مغامرة «أقصى-اليسار» .

حول الصين

الاجتماع العام المشترك بين اللجنة المركزية والهيئة المركزية للرقابة تحت عنوان : «الوضع العالمي والدّفاع عن اتّحاد الجمهوريّات السّوفييتيّة الاشتراكية»، جلسة 7 آب 1927

لننتقل إلى قضيّة الصّين.
سوف لن أتوسّع فيما اتّصل بطابع الثّورة الصّينيّة وآفاقها من أخطاء المعارضة. ولن أقوم بذلك أبدا. فقد تحدّثنا في ذلك بما فيه الكفاية وعلى نحو مقنع بما فيه الكفاية ولا جدوى من تكرار ذلك هنا. وسوف لن أتوسّع أيضا هنا في القول الذّي مفاده أنّ الثّورة الصّينيّة في طورها الحالي هي ثورة في سبيل الاستقلال الجمركي (تروتسكي). ومن غير المجدي أيضا أن أتوسّع في الفكرة التّي مفادها أنّه لا توجد في الصّين، على ما يبدو، بقايا إقطاعيّة وحتّى إن وجدت فليس لها أهميّة جدّية تذكر (تروتسكي، راديك) ممّا يجعل الثّورة الزّراعيّة في الصّين غير مفهومة تماما. إنّ اطلاعكم على صحافة حزبنا، قد يكون جعلكم تقفون على هذه الأخطاء وأخرى شبيهة بها ارتكبتها المعارضة في القضيّة الصّينيّة.

فلنمرّ إلى القضيّة المتعلّقة بالنّقاط الأساسيّة التّي تنطلق منها اللينينيّة لتحلّ قضايا الثّورة في البلدان المستعمَرة والتّابعة.

ما هي نقطة البدء التّي تتّخذها الأمميّة الشّيوعيّة والأحزاب الشّيوعيّة عندما تتناول قضايا الحركة الثّوريّة في البلدان المستعمَرة والتّابعة بصورة عامّة؟

إنّها تمييز الثّورة في البلدان الإمبرياليّة التّي تضطهِدُ الشّعوب الأخرى عن الثّورة في البلدان المستعمَرة والتّابعة التّي ترزح تحت نير إمبريالي من جانب الدّول الأخرى تمييزا قويما. فالثّورة في البلدان الإمبرياليّة شأنٌ؛ فهناك تضطهِدُ البرجوازيّة الشّعوب الأخرى وهي هناك رجعيّة في جميع مراحل الثّورة وهناك ينتفي العنصرُ القومي من جهة أنّه عنصر تحرّر. والثّورة في البلدان المستعمَرة والتّابعة شأنٌ آخر؛ فنير إمبرياليّة الدّول الأخرى هنا هو أحد عوامل الثّورة، فهذا النير لا يمكن أن يستثني مداهُ البرجوازيّة الوطنيّة. فهذه الأخيرة يمكنها أن تساند الحركة الثّوريّة في بلادها ضدّ الإمبرياليّة في مرحلة معيّنة زمنا معيّنا. فالعنصر القومي هو عامل ثورة من جهة أنّه عنصر نضال تحرّر.

ومن لم يفهم هذا الفرق وماثل الثّورة في البلدان الإمبرياليّة بالثّورة في البلدان المستعمَرة والتّابعة إنّما هو خرج من طريق الماركسيّة ومن طريق اللينينيّة وسلك طريق أنصار الأمميّة الثّانية.

إليكم ما قاله لينين في هذا الموضوع في تقريره «في القضيّتين القوميّة والاستعماريّة» أمام المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني:

﴿ما هي الفكرة الأكثر أهميّة، الفكرة الأساسيّة في أطروحاتنا؟ إنّها تمييز الشّعوب المضطهَدة عن الشّعوب المضطهِدة. ونحن نؤكّد على هذا التمييز خلافا لما تقوم به الأمميّة الثّانية والدّيمقراطيّة البرجوازيّة (إشارة التأكيد لستالين)﴾

خطأ المعارضة الرّئيسي أنّها لا تفهم هذا الفرق بين أنواع الثّورات ولا تعترف به.

خطأ المعارضة الرّئيسي أنّها تماثل ثورة 1905 في روسيا البلد الإمبريالي الذّي يضطهِد الشّعوب الأخرى بالثّورة في الصّين البلد المضطهَد وشبه المستعمَر المضطرّ للنضال ضدّ النير الإمبريالي الذّي تسلّطه عليه الدّول الأخرى.

فعندنا في روسيا في عام 1905 سارت الثّورة ضدّ البرجوازيّة الليبراليّة رغم أنّ الثّورة كانت ديمقراطيّة برجوازيّة. لماذا؟ لأنّ البرجوازيّة الليبراليّة في بلد إمبريالي لا يمكنها أن لا تكون

معادية للثّورة. ولهذا السّبب على وجه التّحديد لم يتعلّق الأمر عند البلاشفة بقضيّة تكتّلات أو اتّفاقات مؤقّتة مع البرجوازيّة الليبراليّة. وتنطلق المعارضة من ذلك لتزعم أنّ علينا القيام بنفس الأمر في الصّين في جميع مراحل الحركة الثّوريّة، فلا نقبل اتّفاقات أو تكتّلات مؤقّتة مع البرجوازيّة الوطنيّة في الصّين مهما كانت الظّروف. لكنّ المعارضة تنسى أنّه لا يتحدّث على هذا النحو إلاّ من كان لا يعرف الفرق بين الثّورة في البلدان المضطهَدة والثّورة في البلدان المضطهِدة ولا يريد الاعتراف بذلك الفرق؛ وأنّه لا يتحدّث على هذا النحو إلاّ من قاطع اللينينيّة وانزلق نحو أنصار الأمميّة الثّانية.

إليكم ما قاله لينين في ما اتّصل بقبول الاتّفاقات والتّكتّلات المؤقّتة مع حركات التّحرّر البرجوازيّة في البلدان المستعمَرة:

﴿يجب على الأمميّة الشّيوعيّة أن تسير في تحالف مؤقّت مع الدّيمقراطيّة البرجوازيّة في البلدان المستعمَرة والمتأخّرة لكن دون أن تندمج فيها وأن تحافظ مطلقا على استقلال الحركة العمّالية حتى لو كانت في شكلها الأكثر جنينية.﴾

﴿فبصفتنا شيوعيين يجب علينا أن نساند (ونحن نقوم بذلك) حركات التّحرّر البرجوازيّة في البلدان المستعمَرة إذا ما كانت تلك الحركات ثورية حقّا ولا يمنعنا ممثّلوها من تربية وتنظيم الفلّاحين وجماهير المستغَلين الهائلة بروح ثورية.﴾

كيف «حدث» أن اعترف لينين بقبول تلك الاتّفاقات والتّكتّلات مع البرجوازيّة في الصّين وهو الذّي كان يحارب تلك الاتّفاقات في روسيا؟ أكان لينين مخطأ؟ أكان انتقل من التّكتيك الثّوري إلى التّكتيك الانتهازي. لا، فذلك بديهي. لقد «حدث» ذلك لأنّ لينين كان يفهم الفرق بين الثّورة في بلد مضطهَد والثّورة في بلد مضطهِد. لقد «حدث» ذلك لأنّ لينين كان يفهم أنّ البرجوازيّة الوطنيّة في البلدان المستعمَرة يمكنها أن تساند الحركة الثّوريّة في بلادها ضدّ إمبرياليّة الخارج في مرحلة معيّنة من تطوّر تلك الحركة الثّوريّة. وذلك ما لا تريد المعارضة أن تفهمه. لكنّها لا تريد أن تفهمه لأنّها تقاطع تكتيك لينين الثّوري، لأنّها تقاطع التّكتيك الثّوري اللينيني.

هل لاحظتم كيف تفادى زعماء المعارضة بعناية في خطاباتهم أن يتحدّثوا في تعاليم لينين التّي ذكرنا خوفا من تناولها رغم أنّ الرفيق بوخارين قد واجههم بقضيّة تعاليم لينين تلك في تقريره؟

لماذا إذن تفادوا هذه التّعاليم التّكتيكية التّي يعرفها الجميع وقدّمها لينين للبلدان المستعمَرة والتّابعة؟ لماذا يخافون تلك التّعاليم؟ لأنّهم يخافون الحقيقة. لأنّ تعاليم لينين التّكتيكية تطيح بكامل التوجّه المذهبي والسّياسي عند التّروتسكية فيما اتّصل بقضايا الثّورة الصّينيّة.
فيما اتّصل بمراحل الثّورة الصّينيّة. لقد ارتبكت المعارضة حتّى أنّها تنكر الآن وجود أيّ كان من المراحل في تطوّر الثّورة الصّينيّة. لكن هل من الممكن أن تقوم ثورات دون أن تمرّ ببعض المراحل خلال تطوّرها؟ ألم يكن في تطوّر ثورتنا مراحل؟ خذوا «أطروحات نيسان» التّي صاغها لينين وستجدون أنّه يقرّ بمرحلتين في ثورتنا: المرحلة الأولى هي الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة ومحورها الرّئيسي الحركةُ الزّراعيّة؛ والمرحلة الثّانية هي ثورة أكتوبر ومحورها الرّئيسي هو استلام الطبقة العمّالية السّلطة. ما هي مراحل الثّورة الصّينيّة؟ أعتقد أن يجب أن تكون ثلاث: المرحلة الأولى هي ثورة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة، إنّها فترة كانتون لمّا كانت الثّورة توجّه ضرباتها الرّئيسيّة ضدّ الإمبرياليّة الأجنبيّة، ولمّا كانت البرجوازيّة الوطنيّة لا تزال تساند الحركة الثّوريّة. والثّورة الصّينيّة حاليّا في ثاني مراحل تطوّرها، وكان ذلك مع ظهور الجيوش الوطنيّة على نهر يانغ-تسي وهو الوقت الذّي انسحبت فيه البرجوازيّة الوطنيّة من الثّورة وتطوّرت فيه الحركة الزّراعيّة إلى ثورة عارمة يخوضها عشرات الملايين من الفلّاحين؛ والمرحلة الثّالثة هي الثّورة السّوفييتيّة، إنّها لم تقم بعدُ لكنّا قادمة. ومن لم يفهم أن لا وجود لثورات دون بعض المراحل في تطوّرها ومن لم يفهم أنّ الثّورة الصّينيّة تنطوي على ثلاث مراحل إنّما هو لم يفهم شيئا من الماركسيّة والقضيّة الصّينيّة.
ما هو الطابع الذّي ميّز أولى مراحل الثّورة الصّينيّة؟
إنّ الطابع الذّي ميّز أولى مراحل الثّورة الصّينيّة هوّ أنّها كانت، في المقام الأول، ثورة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة؛ وكانت، في المقام الثّاني، موجَّهة أساسا ضدّ الإضطهاد الإمبريالي الخارجي (إضراب هون-كونغ،...). هل كانت كانتون وقتئذ مركز وساحة سلاح الحركة الثّوريّة في الصّين؟ نعم. لا جدال في ذلك. فلا ينكر ذلك الآن إلاّ أعمى.
هل صحيح أنّ أولى مراحل الثّورة المعادية للإمبرياليّة يجب أن يكون لها هذا الطابع على جهة التّحديد؟ أرى أنّ ذلك صحيح. لقد تناول مؤتمر الأمميّة الشّيوعيّة الثّاني الثّورة في الهند والصّين في «الأطروحات الإضافيّة» حيث يقول في ما اتّصل بهذه البلدان:

﴿تعرقل السّيطرة الأجنبيّة، على الدّوام، تطوّر الحياة الاجتماعيّة، لذا يجب أن تكون أولى خطوات الثّورة في المستعمرات الإطاحة بالرّأسماليّة الأجنبيّة.﴾

إنّ الطابع الذّي يميّز الثّورة الصّينيّة هو أنّها اجتازت هذه «الخطوة الأولى» أي المرحلة الأولى من تطوّرها، أنّها اجتازت فترة ثورة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة وتدخل ثاني مراحل تطوّرها أي فترة الثّورة الزّراعيّة.

إنّ الطابع الذّي ميّز الثّورة التّركيّة (الكماليون) على سبيل المثال هو عكس ذلك، فقد تعثّرت في أولى مراحل تطوّرها، أي في مرحلة حركة التّحرّر البرجوازي دون حتّى أن تحاول المرور إلى ثاني مراحل تطوّرها أي مرحلة الثّورة الزّراعيّة.

ماذا كان يمثّل الكيومينتانغ وحكومته في أولى مراحل الثّورة، في فترة كانتون؟ كان يمثّل وقتئذ تكتل العمّال والفلّاحين والمثقفين البرجوازيين والبرجوازيّة الوطنيّة. هل كانت كانتون وقتئذ مركز الحركة الثّوريّة وساحة سلاح الثّورة؟ وهل كانت سياسة مساندة كيومينتانغ كانتون من جهة أنّه حكومة نضال تحرّري ضدّ الإمبرياليّة سياسة صحيحة؟ وهل كنا على صواب عندما قدّمنا المساعدة لكانتون في الصّين ولأنقرة في تركيا حين كانت كل من كانتون وأنقرة تخوضان النّضال ضدّ الإمبرياليّة؟ نعم. لقد كنا على صواب. كنا على صواب وكنا نسير وقتئذ على خطى لينين.

لكن كيف نفهم الجبهة المتّحدة مع البرجوازيّة الوطنيّة في أولى مراحل الثّورة المعادية للإمبرياليّة؟ هل يعني ذلك أنّ على الشّيوعيّين أن لا يشدّدوا نضال العمّال والفلّاحين ضدّ المالكين العقاريين والبرجوازيّة الوطنيّة؟ وهل يعني ذلك أنّ على الطبقة العمّالية أن تضحّي باستقلاليتها وإن كان ذلك في أضعف حدّ وإن كان ذلك للحظة واحدة؟ لا. فلا يمكن للجبهة المتّحدة أن يكون لها معنى ثوريا إلاّ إذا لم يمُنع الحزب الشّيوعي من أداء نشاطه السّياسي والتّنظيمي في كامل الحريّة؛ وأن ينظّم الطبقة العمّالية لتكون قوّة سياسيّة مستقلّة؛ وأن يوجّه الفلّاحين ضدّ المالكين العقّاريين؛ وأن ينظّم ثورة العمّال والفلّاحين علنا فينظّم على ذلك النحو ظروف هيمنة الطبقة العمّالية. وأعتقد أنّ الرفيق بوخارين كان قد بيّن على نحو جيّد بالاعتماد على وثائق يعرفها الجميع كيف أنّ الأمميّة الشّيوعيّة كانت قد أبلغت الحزب الشّيوعي الصّيني هذا التصوّر للجبهة المتّحدة على وجه التّحديد.

لقد اعتمد هنا الرفيقان كامينيف وزينوفييف على مرجع واحد ووحيد ألا وهو تلغراف أرسل إلى شنغهاي في تشرين الأول 1926 مفاده أن لا يجب تشديد الحركة الزّراعيّة الآن قبل كسب شنغهاي. أنا لا أقرّ بصواب هذا التّلغراف. ولم أعتبر، ولا أعتبر، لجنتنا المركزيّة معصومة من الأخطاء. فمن الممكن أن تقع الأخطاء. وهذا التلغراف خطأ. ولكن، أوّلا. ألغينا هذا التّلغراف بأنفسنا في بحر بضعة أسابيع (في تشرين الثّاني 1926)، دون أي إشارة من أي نوع من جهة المعارضة؛ وثانيا. لماذا صمتت المعارضة عن هذا الموضوع إلى حدّ الآن؟ لماذا لم تتذكّر هذا التّلغراف إلاّ بعد تسعة أشهر؛ ولماذا أخفت عن الحزب أنّنا ألغينا ذلك التّلغراف منذ تسعة أشهر؟ ذلك إنّما هو افتراء القصد منه أن يذهب في اعتقاد المرء أنّ ذلك التّلغراف يحدّد خطّ قيادتنا. والحقّ أنّه كان تلغرافا منعزلا ومنفردا ولا يعبّر عن خطّ الأمميّة الشّيوعيّة وخطّ قيادتنا. لذلك فقد ألغته جملة من الوثائق التّي تحدّد خطّ قيادتنا المميّز في بحر بضعة أسابيع.

واسمحوا لي أن أعتمد تلك الوثائق.

إليكم على سبيل المثال مقتطفا من القرار الذّي صادق عليه الاجتماع السّابع في تشرين الثّاني 1926، أي بعد شهرين من تاريخ التلغراف المذكور آنفا:

﴿إنّ الميزة الأصيلة في الوضع الحالي هو طابعه الانتقالي الذّي يجعل الطبقة العمّالية ملزمة بأن تختار إمّا أفق تكتّل مع فئات هامّة من البرجوازيّة، وإمّا أفق تقوية تحالفها مع الفلّاحين لاحقا. فإذا لم تصغ الطبقة العمّالية برنامجا زراعيّا جذريا فلن تستطيع جرّ الفلّاحين إلى النّضال الثّوري، وستفقد هيمنتها على حركة التّحرّر الوطني.﴾

ثمّ نقرأ:

﴿لن يكون في مستطاع الحكومة الوطنيّة في كانتون أن تحافظ على السّلطة في الثّورة إن لم تحقّق انتصارا تامّا على الإمبرياليّة والرّجعيّة المحليّة وذلك طالما أنّ قضيّة التّحرّر الوطني لم تدمج بالثّورة الزّراعيّة﴾

تلك وثيقة تحدّد خط قيادة الأمميّة الشّيوعيّة بحقّ.

وإنّه لمن الغريب جدّا أن يصمت زعماء المعارضة عن وثيقة الأمميّة الشّيوعيّة هذه التّي يعرفها الجميع.

ربّما سأكون فضا إذا ما اعتمدت على خطابي الذّي ألقيته أمام الجمعية الصّينيّة في الأمميّة الشّيوعيّة في تشرين الثّاني من نفس العام 1926، وهي الجمعية التّي صاغت، بمشاركتي طبعا، «القرار في الثّورة الصّينيّة» الذّي صادق عليه الاجتماع السّابع الموسّع، وكان قد نشر خطابي فيما بعد في كرّاس عنوانه «آفاق الثّورة في الصّين».

إليكم بعضا من ذلك الخطاب:

﴿أعلم أنّ هناك من بين أعضاء الكيومينتانغ وحتّى من بين الشّيوعيّين الصّينيين من يعتقد أنّ من غير الممكن تأجيج الثّورة في الريف، خوفا من يكون في جرّ الفلّاحين إلى الثّورة قضاء على الجبهة المتّحدة المعادية للإمبرياليّة. أيّها الرفاق، ذلك خطأ جدّ عميق. فالجبهة المعادية للإمبرياليّة في الصّين ستكون أكثر قوّة وأكثر صلابة إذا ما دخل الفلاحون الصّينيون الثّورة في أسرع وقت وإلى أقصى حدّ.﴾

ثم نقرأ:

﴿أعلم أن هناك من بين الشّيوعيّين الصّينيين رفاقا يعتبرون إضرابات العمّال لتحسين وضعهم المادي والتّشريعي أمرا غير مرغوب فيه ويصرفونهم عن الإضرابات. أيّها الرفاق، ذلك خطأ كبير. وإنّ في ذلك استنقاص كبير من دور الطبقة العمّالية في الصّين ومن أهمّيتها. ويجب أن يسجّل ذلك في الأطروحات على أنّه أمر مطلق السّلبية. فسيكون خطأ كبيرا إذا لم يستغل الشّيوعيّون الصّينيون الوضع الملائم الحالي ليساعدوا العمّال على تحسين وضعهم المادي والتّشريعي ولو كان ذلك بطريق الإضرابات. وإلّا فما فائدة الثّورة في الصّين.﴾

وإليكم وثيقة ثالثة صيغت في كانون الأوّل 1926، في وقت أُمطرت فيه الأمميّة الشّيوعيّة بوابل من الاتّهامات مفادها أنّ توسّع نضال العمال أدّى إلى أزمة والبطالة وغلق المناجم والمعامل:

﴿إنّ السّياسة العامّة التّي تقوم على التّراجع في المدن والتّضييق على نضال العمّال لتحسين وضعهم هي سياسة خاطئة. يجب تطوير النّضال في الرّيف. لكن من الضروري، في ذات الوقت، استغلال الوقت الملائم لتحسين وضع العمّال المادي والتّشريعي، جاهدين لإعطاء نضال العمّال طابعا منظّما بكل الوسائل، نابذين الإفراط والسّبق المبالغ فيه. يجب على الأخصّ الاهتمام بأن يكون النّضال في المدن موجّها ضدّ فئات البرجوازيّة الكبيرة، وقبل كل

شيء ضدّ الإمبرياليين، حتّى تحافظ البرجوازيتين الصّغيرة والمتوسّطة، طالما أمكن ذلك، على تواجدها في إطار الجبهة المتّحدة ضدّ العدوّ المشترك. ونعتقد أنّ نظام غرف التّفاهم والمحاكم التّوفيقيّة وغيرها أمرا قويما شرط أن تقوم سياسة عمّالية صحيحة في تلك المؤسّسات. ونتمسّك في ذات الوقت بضرورة أن نحذّركم بأنّ المراسيم ضدّ حرية الإضراب والاجتماعات العمّالية وغيرها غير مقبولة مطلقا. ونظرا لأهميّة هذه القضيّة، أرسلوا إلينا الأخبار بانتظام.﴾

أمّا الوثيقة الرابعة فقد صيغت قبل انقلاب تشان كاي-تشاك بشهر ونصف الشّهر:

﴿من الضروري تقوية عمل خلايا الكيومينتانغ والخلايا الشّيوعيّة في الجيش: إنشاؤها أينما انعدم وجودها، وأينما أمكن إنشاؤها. وإذا ما استحال إنشاؤها وجب تقوية العمل بشيوعيين متخفّيين.

من الضروري التوجّه نحو تسليح العمّال والفلّاحين، وتحويل لجان الفلّاحين المحلية أجهزة فعلية للسلطة لها دفاعها الذاتي المسلّح...

يجب على الحزب الشّيوعي أن يتقوى دائما وأينما كان على حاله تلك. فأن ينصرف إلى سياسة شبه علنية بمحض إرادته فذلك أمر غير مقبول. فلا يمكن أن يتقوى الحزب الشّيوعي بكبح الحركة الجماهيرية، ولا يجب أن يقتاد الحزب الشّيوعي بما لدى رجال يمين الكيومينتانغ من سياسة الخيانة والرجعيّة. فلكي يفضح أولئك لزمت تعبئة الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشّيوعي الصّيني.

من الضّروري أن نلفت انتباه كلّ المناضلين الأوفياء للثّورة إلى أنّ الثّورة الصّينيّة تجتاز، في السّاعة الرّاهنة، فترة دقيقة بالنظر إلى تجمّع القوى الطبقي وتمركز الجيوش الإمبرياليّة، ولا يمكن أن تكون للثّورة انتصارات مقبلة إلاّ شرط التّوجّه بإصرار نحو تطوير الحركة الجماهيريّة. فإن لم ذلك كذلك ستكون الثّورة مهدّدة بخطر كبير. لذا، فتطبيق التّوجيهات إنّما هو ضروري الآن أكثر من أي وقت مضى.﴾

وقبل ذلك في نيسان 1926 أي قبل عام من انقلاب رجال يمين الكيومينتانغ وتشان كاي-تشاك كانت الأمميّة الشّيوعيّة قد حذّرت الحزب الشّيوعي الصّيني بأن أشارت إليه بأنّ «من الواجب توجيه الأمور نحو انسحاب رجال يمين الكيومينتانغ أو طردهم».

على ذلك النّحو كانت الأمميّة الشّيوعيّة تتصوّر تكتيك الجبهة المتّحدة ضدّ الإمبرياليّة في أولى مراحل الثّورة المعادية للإمبرياليّة ولا تزال على ذلك التصوّر.
هل كانت المعارضة على علم بتلك الوثائق التّوجيهية؟ من المؤكّد أنّها كانت على علم. فلماذا إذن صمتت عن هذه الوثائق التّوجيهية؟ لأنّها تبحث عن الخصومة لا عن الحقيقة.
ورغم ذلك فقد مضى وقت كان فيه زعماء المعارضة الحاليّين ومن بينهم زينوفييف وكامينيف يفهمون بعض الشّيء من اللينينيّة وكانوا يدافعون من جهة الأساس عن نفس السّياسة في الحركة الثّوريّة الصّينيّة التّي تنتهجها الأمميّة الشّيوعيّة، وهي سياسة رسمها لنا الرفيق لينين في أطروحاته. وأريد أن أتحدّث عن اجتماع تنفيذية الأمميّة الشّيوعيّة السّادس الذّي انعقد في شباط-آذار 1926، ففي ذلك الوقت كان زينوفييف رئيس الأمميّة الشّيوعيّة، وكان لا يزال حينها لينينيّا ولم يتسنّى له الوقت بعدُ لينتقل إلى معسكر تروتسكي. وأنا أتحدّث عن الاجتماع التام السّادس في تنفيذية الأمميّة الشّيوعيّة لأنّه يوجد قرار في الثّورة الصّينيّة اتخذه ذلك الاجتماع السّادس الموسّع وأُقرّ بالإجماع في شباط-آذار 1926 وتضمّن تقييما لأولى مراحل الثّورة الصّينيّة وكيومينتانغ كانتون وحكومة كانتون. وهو تقييم مماثل تقريبا لذاك الذّي قدّمته الأمميّة الشّيوعيّة والحزب الشّيوعي في إتحاد الجمهوريات السّوفييتيّة الاشتراكية، وتنكره المعارضة الآن. أتحدّث عن هذا القرار لأنّ الرفيق زينوفييف كان قد صوّت له ولأنّ ما من أحد في اللجنة المركزيّة كان قد قدّم اعتراضا عليه بما في ذلك الرفيقين تروتسكي وزينوفييف وزعماء المعارضة الآخرين.
اسمحوا لي أن أقدّم بعض المقتطفات من ذلك القرار. وإليكم ما اتصل فيه بالكيومينتانغ:
﴿لقد خلقت الإضرابات السّياسيّة التّي شنّها العمّال الصّينيون في شنغهاي وهون كنغ (من حزيران إلى أيلول 1925) انعطافا في نضال التّحرّر الذّي يخوضه الشّعب الصّيني ضدّ الإمبرياليين الأجانب... لقد أعطى نشاط الطبقة العمّالية السّياسي دفعا قويّا للتطوّر اللاّحق وتقوية جميع المنظّمات الدّيمقراطيّة الثّوريّة في البلاد وفي مقدّمتها الحزب الشعبي-الثّوري (الكيومينتانغ) والحكومة الثّوريّة في كانتون. إنّ حزب الكيومينتانغ الذّي تمارس نواته الأساسيّة عملها بالتحالف مع الشّيوعيّين الصّينيين، يمثّل التكتل الثّوري من العمّال والفلّاحين والمثقفين والدّيمقراطيّة الحضرية، على أساس المصالح الطبقية المشتركة بين تلك

الفئات من الشعب ضدّ الإمبرياليين الأجانب والنظام العسكري-الإقطاعي بأسره، في سبيل استقلال البلاد وفي سبيل سلطة ديمقراطيّة ثورية موحّدة.﴾

وهكذا كان الكيومينتانغ في كانتون على هيئة تحالف أربع طبقات. وكما ترون فذلك قريب من «المارتوفيّة» التي اهتم بها الرفيق زينوفييف وقتئذ لمّا كان رئيس الأمميّة الشّيوعيّة.

فيما اتّصل بحكومة الكيومينتانغ في كانتون:

﴿لقد نجحت الحكومة الثّوريّة التي أنشأها حزب الكيومينتانغ في كانتون في أن تقيم صلات بأوسع جماهير العمّال والفلّاحين والدّيمقراطيّة الحضرية، واعتمدت عليها لتحطّم العصابات المعادية للثّورة التي يدعّمها الإمبرياليون (وهي تحقق عملا قوامه إنشاء ديمقراطيّة جذرية في كامل الحياة السّياسيّة في مقاطعة كوانغ-تونغ. فالحكومة في كانتون يشتدّ عودها من جهة أنّها طليعة نضال الشعب الصّيني في سبيل استقلاله. وهي تصلح أن تكون أنموذجا للبناء الديمقراطي الثّوري اللاحق في البلاد.﴾

فحكومة الكيومينتانغ في كانتون التي تمثل أربع طبقات كانت حكومة ثورية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت أنموذجا للحكومة الدّيمقراطيّة الثّوريّة في الصّين في المستقبل.

فيما اتصل بالجبهة المتّحدة من العمال والفلّاحين والبرجوازيّة:

﴿يجب على الحزب الشّيوعي والكيومينتانغ، لمواجهة المخاطر الجديدة، أن يقوموا بأوسع نشاط سياسي لتنظيم أنشطة الجماهير لمساندة كفاح الجيوش الشّعبية مستغلّين التناقضات في معسكر الإمبرياليين ومواجهين إيّاهم بالجبهة الموحدة الثّوريّة الوطنيّة من أوسع فئات السكّان (من العمّال والفلّاحين والبرجوازيّة) تحت قيادة المنظمات الدّيمقراطيّة الثّوريّة﴾

وهكذا، في البلدان المستعمَرة، فإنّ التكتّلات والاتّفاقات المؤقّتة مع البرجوازيّة في مرحلة معيّنة من مراحل الثّورة المعادية للإمبرياليّة إنّما هي لا فقط مقبولة بل ضروريّة مطلق الضّرورة.

ألا يماثل هذا كثيرا ما كان في توجيهات لينين التي نعرفها فيما تعلّق بتكتيك الشّيوعيّين في البلدان المستعمَرة والتّابعة. لكن ما يدعو للأسف أنّ الرّفيق زينوفييف كان قد نسي ذلك.

فيما تعلّق بقضيّة الخروج من الكيومينتانغ:

﴿إنّ بعض فئات البرجوازيّة الكبيرة الصّينيّة، التي التحقت طيلة مدّة بالكيومينتانغ، قد غادرته العام الماضي؛ لقد نتج ذلك إثر تكوّن فرقة صغيرة على يمين الكيومينتانغ تعارض، على نحو

مكشوف، التّحالف المتين مع الجماهير العماليّة وترمي إلى طرد الشّيوعيّين من الكيومينتانغ، وتعارض السّياسة الثّوريّة عند حكومة كانتون. ولقد كان المؤتمر الثّاني للكيومينتانغ في كانون الثّاني 1926 قد أدان سلوك ذلك الجناح اليميني وأشار إلى ضرورة تحالف نضالي بين الكيومينتانغ والشّيوعيّين لتقوية اتّجاه نشاط الكيومينتانغ وحكومة كانتون ولضمان أن تقدّم الطبقة العماليّة سندا ثوريّا للكيومينتانغ﴾

إذن، فخروج الشّيوعيّين من الكيومينتانغ في أولى مراحل الثّورة الصّينيّة سيكون خطأ كبيرا. لكن ما يدعو للأسف أنّ الرّفيق زينوفييف كان قد نسي هذا القرار الذّي صوّت له منذ شهر. لأنّ زينوفييف كان قد طالب، فيما بعد، بخروج الشّيوعيّين الفوري من الكيومينتانغ في نيسان عام 1926 (أي في غضون شهر).

فيما تتعلّق بالانحرافات في الحزب الشّيوعي الصّيني ورفض حرق مرحلة الكيومينتانغ من الثّورة:

﴿يجب أن يتطوّر استقلال الشّيوعيّين الصّينيّين السّياسي في النّضال ضدّ انحرافين خطيرين: ضدّ التّصفويّة اليمينيّة التّي أخفقت في تقدير المهمّات الطبقيّة المستقلّة للطبقة العماليّة وترمي إلى اندماج عديم الشّكل في مجمل الحركة الوطنيّة؛ وضدّ النّزعة اليساريّة القصوى التّي تظهر من خلال القفز فوق المرحلة الدّيمقراطيّة الثّوريّة والانتقال مباشرة إلى مهمّات الدّكتاتوريّة العماليّة والسّلطة السّوفييتيّة، دون أن تأخذ في الحسبان الفلاحين الذّين هم العامل الأساسي والحاسم في حركة التّحرّر الوطني الصّينيّة.﴾

ذلك كلّ الأمر عسى أن تقتنع المعارضة الآن بأنّها كانت ترمي إلى حرق مرحلة الكيومينتانغ من مسار التّطوّر في الصّين، وإلى الانتقاص من أهميّة الحركة الفلاحيّة، وإلى القيام بقفزة استباقيّة نحو السّوفييتات. ذلك ما يعنيه هذا الحديث!

هل يعرف الرّفاق زينوفييف وكامينيف وتروتسكي هذا القرار؟

نعتقد أنّهم يعرفونه. وفي جميع الأحوال، لا يمكن للرّفيق زينوفييف أن يكون على غير علم به، فقد قُدّم هذا القرار إلى الاجتماع السّادس لتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة تحت رئاسته، وصوّت هو نفسه لصالح ذلك القرار. إذن، لماذا يتحاشى زعماء المعارضة، الآن، هذا القرار الذّي هو قرار أعلى هيئة في الحركة العماليّة العالميّة؟ إذن، لماذا يطبقون الصّمت على هذا القرار؟

لأنّ هذا القرار يعارضهم في جميع قضايا الثّورة الصّينيّة، ولأنّه يطيح بكامل توجّه المعارضة التّروتسكي الحالي، ولأنّهم ابتعدوا عن الأمميّة الشّيوعيّة، ولأنّهم ابتعدوا عن اللينينيّة. وهم الآن، وخشية من ماضيهم، وخشية من ظلّهم، اضطرّوا إلى أن يتحاشوا قرار الاجتماع السّادس الموسّع لتنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة.
ذلك كلّ ما في أولى مراحل الثّورة الصّينيّة.
لننتقل الآن إلى ثاني مراحل الثّورة الصّينيّة.
فإذا كانت أولى مراحل الثّورة الصّينيّة تتميّز بكون رأس حربة الثّورة موجّهة أساسا ضدّ الإمبرياليّة الأجنبيّة فإنّ السّمة التّي تميّز المرحلة الثّانية هي أنّ الثّورة توجّه رأس حربتها أساسا ضدّ الأعداء في الدّاخل، وقبل كلّ شيء، ضدّ الإقطاعيّين والنّظام الإقطاعي. هل أنجزت المرحلة الأولى مهمّتها المتمثّلة في الإطاحة بالإمبرياليّة الأجنبيّة؟ كلّا، لم تنجزها. لقد تركت انجاز تلك المهمّة إرثا لثاني مراحل الثّورة. فلم تقم إلّا بتقديم الدّفع الأولي للجماهير الثّوريّة ضدّ الإمبرياليّة، لتنهي مسارها، فيما بعدُ، وتضع ذلك العمل للمستقبل. ونعتقد أنّ ثاني مراحل الثّورة سوف لن تنجح أيضا في تحقيق كامل مهمّتها المتمثّلة في طرد الإمبرياليّين. وإنّما ستعطي دفعا جديدا للجماهير العظيمة من العمال والفلّاحين الصّينيّين ضدّ الإمبرياليّة، لكنّها تفعل ذلك لتوكل، فيما بعدُ، إتمام تلك المهمّة إلى المرحلة المقبلة من الثّورة الصّينيّة: المرحلة السّوفيّيتيّة. وليس في ذلك ما يبعث على الدّهشة. ألا نعلم أنّ وقائع مماثلة كانت قد حصلت في تاريخ ثورتنا رغم أنّ ذلك كان في وضع وملابسات مغايرة؟ ألا نعلم أنّ أولى مراحل ثورتنا لم تنجز مهمّتها انجازا تامّا المتمثّلة في إتمام الثّورة الزّراعيّة، وأنّها أوكلت انجازها إلى المرحلة اللّاحقة من الثّورة: ثورة أكتوبر التّي أنجزت على نحو تامّ المهمّة المتمثّلة في اقتلاع البقايا الإقطاعيّة من جذورها؟ كذلك لا يمكن أن يكون هنالك ما سيبعث على الدّهشة إذا ما لم نستطع، في ثاني مراحل الثّورة، أن ننجز الثّورة الزّراعيّة انجازا تامّا وأن توكل ثاني مراحل الثّورة، بعد أن هيّأت جماهير الفلّاحين الغفيرة وبعد أن وجّهتهم ضدّ البقايا الإقطاعيّة، انجاز تلك المهمّة إلى المرحلة اللّاحقة من الثّورة: المرحلة السّوفيّيتيّة. ولن يكون ذلك إلّا جيّدا للثّورة السّوفيّيتيّة المقبلة في الصّين.
فيما كانت تقوم مهمّة الشّيوعيّين في ثاني مراحل الثّورة في الصّين وقد انتقل مركز الحركة الثّوريّة من كانتون إلى وُو هان وقد برز مركز مضادّ للثّورة في نانكين مواز للمركز الثّوري

في وُو هان؟ كانت تقوم هذه المهمّة في استخدام أقصى، على نحو مكشوف، لتنظيم الحزب والطبقة العماليّة (النقّابات) والفلّاحين (الاتّحادات الفلاحيّة) والثّورة بصورة عامّة. كانت تقوم هذه المهمّة في دفع عناصر كيومينتانغ وُو هان نحو اليسار؛ نحو الثّورة الزّراعيّة. كانت تقوم هذه المهمّة في جعل كيومينتانغ وُو هان مركزا للنّضال ضدّ الثّورة المضادّة ونواة لدكتاتوريّة العمال والفلّاحين الدّيمقراطيّة الثّوريّة المقبلة.

هل كانت هذه السّياسة صحيحة؟ لقد بيّنت الأحداث أنّها السّياسة الصّحيحة الوحيدة القادرة على تهيئة الجماهير العظيمة من عمالا وفلّاحين بروح تطوّر الثّورة اللّاحق.

لقد كانت المعارضة تطالب بتأليف سوفييتات نوّاب العمال والفلّاحين فورا. لكنّ ذلك كان من باب المغامرة وسبق مغامر لأنّ تأليف السّوفييتات فورا كان يعني، وقتئذ، حرق مرحلة الكيومينتانغ اليساري من التّطوّر.

لماذا؟ لأنّ الكيومينتانغ في وُو هان، الذّي يحافظ على تحالفه مع الشّيوعيّين، لم ينكشف ولم ينكشف أمره بعدُ في عيون الجماهير العظيمة من العمال والفلّاحين؛ لم يستنفذ بعدُ كلّ إمكانيّاته من جهة أنّه منظّمة ثوريّة برجوازيّة.

لأنّ صياغة شعار السّوفيّيتات والإطاحة بحكومة وُو هان في وقت لم تقتنع فيه الجماهير بعدُ بعجز تلك الحكومة وبضرورة إطاحتها، إنّما ذلك استباق كبير وانفصال عن الجماهير وخسران سندها وإجهاض، على ذلك النّحو، للعمل الذّي كان قد بدأ.

تعتقد المعارضة أنّه لمّا تفهم هي ما في كيومينتانغ وُو هان من عدم ثبات وهشاشة ونقص في الرّوح الثّوريّة (وذلك أمر لا يصعب فهمه على كلّ مناضل سياسي كفء)، فإنّ كلّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى تكون تلك الأمور مفهومة أيضا عند الجماهير؛ أنّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى نستبدل الكيومينتانغ بالسّوفيّيتات ونجرّ الجماهير وراءنا. لكنّ ذلك هو خطأ اليساري الأقصى المعتاد عند المعارضة الذّي يقدّم وعيه وفهمه الخاصّين على أنّهما الوعي والفهم الخاصّين بملايين العمال والفلّاحين.

إنّ المعارضة على صواب عندما تقول أنّ على الحزب أن يسير إلى الأمام. فذلك مبدأ ماركسي عادي لا يمكن أن يقوم حزب شيوعي حقيقي من دونه. لكن ليس ذلك إلّا جزءا من الحقيقة. أمّا الحقيقة كاملة فهي أن على الحزب لا أن يخطو إلى الأمام فحسب، بل عليه أيضا أن

يجرّ وراءه الجماهير الغفيرة. فأن نسير إلى الأمام دون أن نجرّ وراءنا الجماهير الغفيرة إنّما يعني ذلك، في الواقع، أن نتأخّر عن الحركة وأن نبقى في ذيلها. أن نسير إلى الأمام منفصلين عن المؤخّرة ودون أن نعرف كيف نجرّها وراءنا إنّما ذلك استباق كبير سيعرقل، لزمن معيّن، سير الحركة الجماهيريّة إلى الأمام. والقيادة اللينينيّة تقوم فيما يلي: يجب على الطليعة أن تعرف كيف تجرّ وراءها المؤخّرة، يجب على الطليعة أن تسير إلى الأمام دون أن تنفصل عن الجماهير. ولكيلا تنفصل الطليعة عن الجماهير ولكي تستطيع الطليعة بالفعل جرّ الجماهير الغفيرة وراءها لزم ذلك شرط حاسم وضروري وهو أن تقتنع الجماهير نفسها، من خلال تجربتها الخاصّة، بصحّة تعاليم وتوجيهات وشعارات الطليعة. وتكمن تعاسة المعارضة، على وجه التّحديد، في أنّها لا تعترف بهذه القاعدة اللينينيّة البسيطة عندما لا تفهم أنّه عند قيادة الجماهير الغفيرة ليس في مستطاع الحزب لوحده، مجموعة الطليعة لوحدها، أن ينجز الثّورة إذا لم تسانده الجماهير العظيمة؛ فالثّورة، في آخر الأمر، «تقوم بها» الجماهير الغفيرة من الشّغيلة.

لماذا لم نصغ نحن البلاشفة، في نيسان 1917، شعارا عمليّا للإطاحة بالحكومة المؤقّتة وإرساء سلطة السّوفييتات، رغم اقتناعنا بأنّنا سنكون في القريب العاجل أمام ضرورة الإطاحة بالحكومة المؤقّتة وإرساء السّلطة السّوفييتيّة؟ لأنّ جماهير الشّغيلة العظيمة، في المؤخّرة كما في الجبهة والسّوفييتات نفسها لم تكن مستعدّة بعدُ لتقبّل مثل ذلك الشّعار؛ لأنّها كانت لا تزال بعدُ تعتقد في الرّوح الثّوريّة عند الحكومة المؤقّتة. لأنّ الحكومة المؤقّتة لم تكن قد شرعت تعرقل بعدُ ولم تكن قد انكشفت مساندتها الثّورة المضادّة في المؤخّرة وفي الجبهة بعدُ. لماذا ندّد لينين، في نيسان 1917، بمجموعة باغدادياف التّي صاغت شعار الإطاحة الفوريّة بالحكومة المؤقّتة وتركيز سلطة السّوفييتات؟ لأنّ محاولة باغدادياف كانت استباق خطير يهدّد الحزب البُلشفي بالانفصال عن الملايين من العمال والفلّاحين.

روح المغامرة في السّياسة والباغداديفيّة في قضايا الثّورة الصّينيّة ذلك ما يميت معارضتنا التّروتسكيّة اليوم.

يقول الرّفيق زينوفييف أنّني عندما أتحدّث عن الباغداديفيّة أكون قد ماثلت الثّورة الصّينيّة الحاليّة بثورة أكتوبر. من البديهي أن لا أساس لذلك. أوّلا، لقد أكّدت بنفسي في مقالي «ملاحظات في مواضيع راهنة» أنّ:

﴿من البديهي أنّ المماثلة هنا تقريبية. ولا أقبلها إلّا بجميع التحفّظات التّي يفرضها الاختلاف بين الوضع الصّيني اليوم وذاك الذّي كان في روسيا عام 1917.﴾

ثانيا، سيكون من العبث التّأكيد على أنّنا على نستطيع القيام بمماثلة بالثّورات في البلدان الأخرى لتحديد تيّار معيّن أو أخطاء معيّنة في الثّورة في البلدان المعنيّة. ألا تخضع ثورة بلد لمدرسة ثورات البلدان الأخرى حتّى وإن لم تكن تلك الثّورات من نفس النّوع؟ إذن، فيما يختصر علْم الثّورة؟ من حيث الأساس، ينفي زينوفييف إمكانيّة قيام علْم الثّورة. ألم يتّهم لينين، في الفترة السّابقة لثورة أكتوبر، تشخييدزه وتسيريتيلي وستيكلوف والآخرين بأنّهم قد أصيبوا بـ«لويبلانيّة» ثورة 1848 الفرنسيّة؟ انظروا في مقال لينين «اللويبلانيّة» فتجدوا أنّ لينين يستعمل كثيرا المماثلة بثورة 1848 الفرنسيّة ليحدّد أخطاء بعض أخطاء المناضلين قبل أكتوبر رغم أنّ لينين كان يعلم جيّدا أنّ ثورة 1848 الفرنسيّة وثورتنا في أكتوبر ليستا من ذات النّوع. وإذا ما كان بالإمكان أن نتحدّث عن «لويبلانيّة» تشخييدزه وتسيريتيلي في الفترة السّابقة لثورة أكتوبر فلم لا يمكننا أن نتحدّث عن «باغداديفيّة» زينوفييف وتروتسكي في فترة الثّورة الزّراعيّة في الصّين؟

تؤكّد المعارضة أنّ وُو هان لم تكن مركز الحركة الثّوريّة. لكن لماذا، إذن، كان الرّفيق زينوفييف قد أعلن أنّ «من الضّروري مساعدة» كيومينتانغ وُو هان «بجميع الوسائل» حتّى نجعل منه مركزا للنّضال ضدّ الكافينياكيين الصّينيّين؟ لماذا أصبحت أراضي وُو هان دون غيرها مركزا لأقصى تطوّر في الحركة الزّراعيّة؟ ألم تكن أراضي وُو هان (هو نان، هو باي)، في مطلع هذا العام، مركزا لأقصى تطوّر في الحركة الزّراعيّة؟ لماذا يمكن نعت كانتون بأنّها «ساحة سلاح الثّورة» (تروتسكي) وهي التّي لم تكن فيها حركة زراعيّة جماهيريّة، في حين لا ننعت وُو هان بأنّها «ساحة سلاح» الحركة الثّوريّة هي التّي انطلقت من أراضيها الثّورة الزّراعيّة وتطوّرت؟ إذن، كيف نفسّر أنّ المعارضة طالبت بإبقاء الحزب الشّيوعي في كيومينتانغ وُو هان وفي حكومة وُو هان؟ أكانت المعارضة، في نيسان 1927 إلى جانب التكتّل مع كيومينتانغ وُو هان «المضادّ للثّورة»؟ فمن أين أتى هذا «العفو» وهذا الاضطراب عند المعارضة؟

لقد سعدت المعارضة بخبث بأن كان التّكتّل مع كيومينتانغ وُو هان قصير المدّة، وزعمت أنّ الأمميّة الشّيوعيّة لم تنبّه الشّيوعيّين الصّينيّين إلى إمكانيّة فشل كيومينتانغ وُو هان. ولا حاجة لنا لنؤكّد أنّ السّعادة الخبيثة عند المعارضة تشهد ببساطة على إفلاسها السّياسي. فالمعارضة تعتقد، على ما يبدو، أنّ التّكتّل مع البرجوازيّة الوطنيّة في البلدان المستعمَرة يجب أن يكون طويل المدّة. لكن لا يمكن أن يفكّر على هذا النّحو إلّا أشخاص فقدوا آخر بقايا اللينينيّة. فإذا كان قد ظهر أنّ الإقطاعيّين والإمبرياليّة في الصّين، في الطّور الحالي، أقوى من الثّورة، وإذا كان القمع الذّي مارسته تلك القوى المعادية قد أدّى إلى انعطاف كيومينتانغ وُو هان نحو اليمين وإلى هزيمة الثّورة الصّينيّة هزيمة مؤقّتة، فلا يمكن أن يسعد بذلك إلّا أشخاص أصيبوا بالانهزاميّة. وفيما يتعلّق بإعلان المعارضة الذّي مفاده أنّ الأمميّة الشّيوعيّة لم تنبّه الحزب الشّيوعي الصّيني إلى إمكانيّة فشل كيومينتانغ وُو هان، فإنّ ذلك علكة معتادة تملأ بها المعارضة فمها.

اسمحوا لي أن أذكر بعض الوثائق لأكشف أكاذيب المعارضة.

تعود الوثيقة الأولى إلى شهر أيّار عام 1927:

﴿ الآن، الجوهري في سياسة الكيامينتانغ الدّاخليّة هو تطوير الثّورة الزّراعيّة في جميع الأقاليم بانتظام، بما فيها وبوجه خاصّ في كوانغ-توانغ، تحت شعار «كلّ السّلطة لاتّحادات ولجان الفلّاحين في الرّيف». هنا أساس نجاحات الثّورة والكيومينتانغ. هنا الأساس الذّي يمكّن، في الصّين، من خلق جيش سياسي وعسكري واسع وقويّ ضدّ الإمبرياليّة وأعوانها. عمليّا، شعار حجز الأراضي مناسب إلى أقصى حدّ في الأقاليم ذات الحركة الزّراعيّة الكبيرة مثل هو نان وكوانغ-تونغ، الخ. وتستحيل الثّورة الزّراعيّة من دون ذلك.

يجب، منذ الآن، الشّروع في تنظيم ثمان أو تسع كتائب مؤلّفة من فلّاحين وعمالا ثوريّين لها قيادة فيها ثقة مطلقة تكون بمثابة حرس وُو هان في الجبهة وفي المؤخّرة لتنزع سلاح الوحدات التّي تضعف الثّقة فيها. ولا يجب تأخير في ذلك.

يجب تقوية العمل في المؤخّرة وفي وحدات تشان كاي-تشيك حتّى تفكّك وتتوجّه إلى مساندة الفلّاحين المنتفضين في كوانغ-تونغ أين سلطة المالكين العقّاريين لا تحتمل على نحو خاصّ.﴾

تعود الوثيقة الثّانية إلى شهر أيّار 1927:

﴿يستحيل النّصر دون ثورة زراعيّة. فمن دونها ستصبح لجنة الكيومينتانغ المركزيّة دمية تعيسة في أيدي جنرالات لا ثقة فيهم. ويجب محاربة الإفراط لا بالجيش بل بواسطة اتّحادات الفلّاحين. نحن وبحسم، مع أن تنتزع القاعدةُ الأرضَ بالفعل. إنّ تقديرات رحلة تانغ بينغ-سيان لها بعض الأساس. فما يجب ليس الانفصال عن حركة العمال والفلّاحين بل المساهمة فيها بكلّ الوسائل، وإلّا ستخسرون كلّ شيء.

بعض القادة القدامى من لجنة الكيومينتانغ المركزيّة خائفون من الأحداث ومتردّدون ويساومون. يجب جذب أكثر ما يمكن من الزّعماء الجدد من الفلّاحين والعمال القاعديّين إلى لجنة الكيومينتانغ المركزيّة. فأصواتهم الصّلبة ستجعل القدامى إمّا حاسمين وإمّا جيفة. يجب تغيير تركيبة الكيومينتانغ الحاليّة. ومن الضّروري مطلق الضّرورة تغيير قمّة الكيومينتانغ وإكمالها بزعماء جدد امتُحنوا في الثّورة الزّراعيّة، ويجب توسيع محيطه بملايين المنخرطين في لجان العمال ولجان الفلّاحين؛ وإلّا سيكون الكيومينتانغ مهدّدا بالانفصال عن الحياة ويفقد كلّ سلطة.

يجب تصفية حالة التّبعيّة لمن قلّت فيهم الثّقة من الجنرالات. عبئوا عشرين ألفا من الشّيوعيّين، وأضيفوا خمسين ألف من العمال والفلّاحين الثّوريّين من هو-نان وهو-بي، وألّفوا بعض فرق مسلّحة جديدة، واستخدموا تلاميذ المدرسة العسكريّة، ونظّموا جيشكم الخاصّ الموثوق قبل فوات الأوان، وإلّا فما من ضمان من الفشل. إنّها مهمّة صعبة لكن ليس هنالك من طريق آخر.

نظّموا محكمة عسكريّة ثوريّة على رأسها أعضاء منبثقين من الكيومينتانغ ليسوا شيوعيّين. وسلّطوا عقوبات على الضبّاط الذّين يقيمون صلات بتشانغ كاي-تشيك أو يؤلّبون الجنود على الشّعب؛ على العمال والفلّاحين. ولا يجب الاقتصار على لفت انتباههم. فقد حان وقت الشّروع في التّحرّك. يجب معاقبة المارقين. فإن لم يتعلّم أعضاء الكيومينتانغ أن يصبحوا يعاقبة ثوريّين فسيهلكون هم والشّعب والثّورة.﴾

ترون أنّ الأمميّة الشّيوعيّة كانت قد افترضت الأحداث، وأنّها كانت قد أشارت إلى الأخطار في الوقت المناسب، وكانت قد نبّهت الشّيوعيّين الصّينيّين إلى انهيار كيومينتانغ وُو هان إن لم يصبح أعضاء الكيومينتانغ يعاقبة ثوريّين.

لقد قال الرّفيق كامينيف أنّه إذا ما كانت الثّورة الصّينيّة قد انهزمت فإنّما يرجع ذلك إلى سياسة الأمميّة الشّيوعيّة، وإلى أنّنا «كنا صنعنا كافينياكين في الصّين».
أيّها الرّفاق، لا يجرأ على قول مثل هذا القول في حزبنا إلّا رجل مستعدّ لاقتراف جريمة في حقّ الحزب. وعلى هذا النّحو كان المناشفة قد تحدّثوا عن البلاشفة أثناء هزيمة تموز 1917، حين ظهر على السّاحة الرّوسيّة الكافينياكيون الرّوس. لقد كان لينين قد كتب في مقاله «في الشّعارات» أنّ هزيمة تموز 1917 كانت «انتصار الكافينياكيين». سخر المناشفة وقتئذ معلنين أنّه إن ظهر الكافينياكيون فإنّما ذلك بسبب سياسة لينين الخاطئة. فهل يعتقد الرّفيق كامينيف أنّه بسبب سياسة لينين، بسبب سياسة حزبنا، أن ظهر الكافينياكيون الرّوس أثناء هزيمة تموز 1917 ولم يكن ذلك بسبب أمر آخر؟ وهل يضع الرّفيق كامينيف نفسه هنا في موضع السّادة المناشفة؟(ضحك.) لم أكن لأعتقد أن يسقط رفاق المعارضة في هذا الحضيض... نحن نعلم أنّ ثورة 1905 كانت قد منيت بهزيمة أعمق من الهزيمة الحاليّة في الثّورة الصّينيّة. ويقول المناشفة أنّ هزيمة ثورة 1905 كانت بسبب تكتيك البلاشفة الثّوري الأقصى. أيفكّر الرّفيق كامينيف، هنا أيضا، في أن يتّخذ من تأويل المناشفة لتاريخ ثورتنا أنموذجا فيرمي الكرة في مرمى البلاشفة؟ وكيف نفسّر هزيمة جمهوريّة البافيار السّوفيّيتيّة؟ ربّما بسياسة لينين وليس بميزان القوى الطبقي؟ وكيف نفسّر هزيمة الجمهوريّة السّوفيّيتيّة المجريّة؟ ربّما بسياسة الأمميّة الشّيوعيّة وليس بميزان القوى الطبقي؟ كيف يمكننا أن نؤكّد أنّ بإمكان تكتيك حزب معيّن أن يقلب ميزان القوى الطبقي أو يغيّره؟ هل كان تكتيكنا عام 1905 صحيحا أم لا؟ إذن، لماذا منينا بالهزيمة؟ ألا تشهد الأحداث أنّ بسياسة المعارضة كان من الممكن أن تنتهي الثّورة في الصّين إلى الهزيمة بوتيرة أسرع ممّا حصل فعلا؟ كيف نصنّف الأشخاص الذّين ينسون ميزان القوى الطبقي أثناء الثّورة ويسعون إلى حصر تفسير كلّ شيء بتكتيك حزب معيّن؟ لا يمكننا أن نقول عن مثل أولئك الأشخاص سوى أنّهم قاطعوا الماركسيّة.
الخلاصة. أهمّ أخطاء المعارضة هي:
لا تفهم المعارضة لا طابع الثّورة الصّينيّة ولا آفاقها.
لا ترى المعارضة الفرق بين الثّورة في الصّين والثّورة في روسيا؛ الفرق بين الثّورة في البلدان المستعمَرة والثّورة في البلدان الإمبرياليّة.

تقاطع المعارضة تكتيك اللينينيّة في قضيّة الموقف من البرجوازيّة الوطنيّة في أولى مراحل الثّورة في البلدان المستعمَرة.

لا تفهم المعارضة قضيّة مشاركة الشّيوعيّين في الكيومينتانغ.

تتخلّى المعارضة عن مبادئ التّكتيك اللينيني في قضيّة العلاقة بين الطليعة (الحزب) والمؤخّرة (الملايين من الشّغيلة).

تقاطع المعارضة قرارات اجتماعي تنفيذيّة الأمميّة الشّيوعيّة، السّادس والسّابع، الموسّعين.

تعرض المعارضة سياستها في القضيّة الصّينيّة خلسة مؤكّدة أنّ الأمور ستجري على نحو أحسن في الصّين بتلك السّياسة. وليس هنالك حاجة حتّى نبرهن على أنّ الحزب الشّيوعي الصّيني كان سيُدفع في طريق مسدود لو اتّخذ لنفسه سياسة معادية للينينيّة، سياسة المغامرة التّي تبشّر بها المعارضة. فإذا كان الحزب الشّيوعي الصّيني قد تطوّر في وقت قصير من مجموعة صغيرة مؤلفّة من ألفي منخرط إلى حزب جماهيري يعدّ ستين ألف عضو؛ وإذا كان الحزب الشّيوعي الصّيني قد نجح خلال تلك الفترة في تنظيم قرابة ثلاثة ملايين عامل في النقّابات؛ وإذا كان الحزب الشّيوعي الصّيني قد نجح في إنهاض ملايين عديدة من الفلّاحين من خمولهم وجذب عشرات الملايين من الفلّاحين إلى الاتّحادات الفلاحيّة الثّوريّة؛ وإذا كان الحزب الشّيوعي الصّيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في أن يجذب أفواجا وكتائب بأكملها من الجيوش الوطنيّة إلى صفّه؛ وإذا كان الحزب الشّيوعي الصّيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في تحويل فكرة هيمنة الطبقة العماليّة من شعار إلى واقع مكتسب – فإنّ ذلك يفسَّر، من جملة أمور أخرى، بواقع أنّه اتّبع الطّريق التّي رسمها لينين، الطّريق التّي أشارت إليها الأمميّة الشّيوعيّة.

ولا فائدة من القول أنّ بسياسة المعارضة، بأخطائها وتوجّهها المعادي للينينيّة، تكون تلك نجاحات الثّورة تلك إمّا معدومة وإمّا مختزلة إلى أقصى حدّ.

ولا يشكّ في ذلك إلّا المرتدّون من أقصى اليسار والمغامرون.

المحتويات

لذا، سيكون لتطوّر الأحداث في الصّين طريقان: إمّا أنْ تسحق البرجوازيّةُ الوطنيّة الطبقةَ العماليّة وتقيم اتّفاقا مع الإمبرياليّة وتشنّ معها حملة على الثّورة لتضع لها حدّا بإرساء سلطة الرّأسماليّة؛ وإمّا أنْ تزيح الطبقةُ العماليّة البرجوازيّةَ الوطنيّة عن طريقها وتقوّي من هيمنتها وتأخذ على عاتقها قيادة الجماهير الواسعة من الشّعب الشّغيل في المدينة وفي البلاد في سبيل هزم مقاومة البرجوازيّة الوطنيّة وضمان انتصار الثّورة الدّيمقراطيّة البرجوازيّة انتصارا كاملا لتحوّل هذه الثّورة، تدريجيّا، إلى ثورة اشتراكية بكلّ ما يترتّب عن ذلك... لذا، فإنّ الصّراع بين هذين الطريقين للثّورة هو السّمة المميّزة للثّورة الصّينيّة. ولهذا السّبب، على وجه التّحديد، فإنّ مهمّة الشّيوعيّين الأساسيّة هي الكفاح في سبيل انتصار الطريق الثّاني في انتصار الثّورة الصّينيّة.

ستالين

